من خواطر الشعراوى

١- من شهد له خزيمة فحسبه

فقد اشترى النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أعرابي وذهب ليحضر له الثمن ، ولكن الأعرابي أنكر البيع لأن بعض الناس زاده في ثمن الفرس دون علم أن الرسول قد اشتراه فنادى الأعرابي الرسول وقال له إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقال النبي للرجل : » ألست قد ابتعته منك « . فقال الرجل هات شاهدا يشهد بذلك . لقد انتهز الرجل فرصة أن النبي ابتاع منه دون وجود أحد في هذا الوقت ، وكان سيدنا خزيمة جالسا لحظة مطالبته للنبي بشاهد . فقال سيدنا خزيمة : أنا أشهد يا رسول الله أنك قد بايعته .

ولأن الرجل كاذب ، قال لنفسه : لعل خزيمة رآنا وأنا أبيع الفرس للنبّي فسكت الرجل وانصرف ، وبعد أن انصرف الرجل نادى الرسول خزيمة . وقال له : » يا خزيمة بم تشهد ولم تكن معنا؟ « فقال : أنا أصدقك في خبر السماء ولا أصدقك بما تقول؟ أعلم أنك لا تقول إلا حقاً قد آمناك على أفضل من ذلك ، على ديننا . فعلم الرسول أن لخزيمة نورانية التصديق وحسن الاستنباط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من شهد له خزيمة فحسبه « » . فالأمر الذي يحتاج شاهدين تكفي فيه شهادة خزيمة ، وبذلك أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الوسام لخزيمة وجعل شهادته شهادة رجلين

د عبد النعيم مخيمر

قال زيد بن ثابت :فآليت على نفسي ألاّ أكتب آية إلاّ إذا وجدتها مكتوبة وشهد عليها اثنان ، إلاّ آخر التوبة فوجدتها مكتوبة ولم يشهد عليها إلاّ خزيمة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال في خزيمة : » من شهد له خزيمة فحسبه « ولنا أن نعرف أن زيد بن ثابت من الخزرج وأن خزيمة من الأوس

٢-أحد رضي الله عنه

سمعنا بعض العارفين بالله حين تذكر كلمة « أحد » قال : أحد رضي الله عنه - فتعجب القوم لقول الشيخ عبد الله الزيدان الذي قال ذلك ، فما رأى عجبهم قال لهم : ألم يخاطبه رسول الله بقوله : « اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » ، ألم يقل فيه رسول الله : « أحد جبل يحبنا ونحبه » أتريدون أحسن من ذلك في الصحبة! قل : أحد رضي الله عنه .

٣- مقتل حمزة

وحينما جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مقتل حمزة وقالوا له : إن « هنداً » أخذت كبده ومضغتها ثم لفظتها ، إذ جعلها الله عَصِيَّة عليها ، قال : « ما كان

الله ليعذب بعضاً من حمزة في النار » كأنها ستذهب إلى النار ، ولو أكلتها لتمثلت في جسمها خلايا ، وعندما تدخل النار فكأن بعضاً من حمزة دخل النار ، فلا بد أن ربها يجعل نفسها تجيش وتتهيأ للقيء وتلفظ تلك البضعة التي لاكتها من كبد سيد الشهداء .

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحادثة بأنها أفظع ما لقي . إنها مقتل حمزة فقال : « لئن أظفرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » وينزل قول الحق : { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ } [النحل : ١٢٦]

٤- مَّن ذَا الذي يُقْرِضُ الله

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - لما نزل قوله تعالى : { مَّن ذَا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً } قالت اليهود : يا محمد افتقر ربك ، فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله { لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قالوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ }

٥-التفكر في الله

ويقال : إن المؤمن الصادق في بني إسرائيل قبل رسالة عيسى عليه السلام كان إذا عبد الله بإخلاص ثلاثين سنة فإن غمامة تظله حيث سار . فكانوا عندما يرون واحداً من هؤلاء يسير تظلله غمامة ، فهم يعرفون أنه عبد الله بإخلاص ثلاثين عاماً .

وعَبَدَ واحد منهم الله ثلاثين سنة ولم ير السحابة تظلله ، فشكا ذلك لأمه فقالت له : لعل شيئا فَرطَ منك . فقال لها : يا أماه لا أذكر . فقالت له : لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تفكر . فقال لها : لعل ذلك حدث . فقالت : الذي يأتيك من ذاك . وهذه القصة تذكرنا بضرورة التفكير في الله دائماً .

٦- يا إبراهيم تريده أنْ يغير دينه لضيافة ليلة

قالوا : لأن هناك كثيراً من الأحكام أنت لا تؤمن بالذي حكم بها إلا إذا أدركتَ حلاوتها ، فالرجل الذي جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وطلب منه أنْ يبيت عنده ، أو : أنْ يضيفه ، فسأله إبراهيم عليه السلام عن دينه فقال : إنه مجوسي ، فردَّ الباب في وجهه ، فعاتبه ربه في ذلك ، وقال له : يا إبراهيم تريده أنْ يغير دينه لضيافة ليلة ، وأنا أَسَعُه طوال عمره وهو كافر بي؟ فأسرع إبراهيم في إثر الرجل حتى لحق به ودعاه إلى بيته ، فقال الرجل : ألم تنهرني منذ قليل ، فماذا حدث؟ فقال : لقد عاتبني ربي فيك ، فقال الرجل : نِعْم الربّ ربٌّ يعاتب أحبابه في أعدائه ، أشهد ألاّ إله إلا الله .

٧- مَنْ يَعِبْ يَوْماً بشَيْء ... لَمْ يمُتْ حتَّى يَرَاهُ

وكلمة « الخزي » هذه لها معنا موقف طريف أيام كنا صغاراً نحفظ القرآن على يد سيدنا فضيلة الشيخ حسن زغلول عليه رحمة الله وكان رجلاً مكفوفَ البصر ، وكنا (نستلخمه) فإذا وجدنا فوصة تفلّتنا منه وهربنا من تصحيح اللوح الذي نحفظه ، فالذي يحفظ بمفرده هكذا من المصحف يكون عرْضة للخطأ .
ومن ذلك ما حدث فعلاً من زميل لنا كان اسمه الشيخ محمد حسن عبد الباري ، وقد حضر مدير المدرسة فجأة ، وأراد أن يُسمِّع لنا ، وكان الشيخ عبد الباري لم يصحح لوحه الذي سيقرأ منه فقرأ : (إنك من تدخل النار فقد أخزيته) فقرأها بالراء بدلاً من الزاي ، فضحك الشيخ طويلاً رحمه الله وقال : يا بني المعنى صحيح ، لكن الرواية ليست هكذا .
فكنا نأخذها على الشيخ عبد الباري ، فَمنْ أراد أنْ يغيظه قال : (إنك من تدخل النار . .) ويسكتْ!!
فشاء الله تعالى أن يتعرض كُلٌّ منا لموقف مشابه يُؤْخَذ عليه ، وقد أ ُخِذ عليَّ مثلُ هذا حين قرأت دون أنْ أ ُصحِّح اللوح أول سورة الشورى : (حم عسق) وقد سبق لي أن عرفت (حم) لكن لم يمر بي (عسق) فقرأت : (حم عَسَقَ) بالوصل ، فصار الشيخ عبد الباري كلما قلت له : (إنك من تدخل النار.) يقول : (حم) .
فقلنا سبحان ا لله : مَنْ يَعِبْ يَوْماً بشَيْء ... لَمْ يمُتْ حَتَّى يَرَاهُ

٨ـ وسينصر الروم على فارس

أثارت فرحة الكفار حفيظة المؤمنين ، إلى أنْ نزلت {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأمر مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ . . . } [الروم : ٣-٤] ففرح المؤمنون حتى قال أبو بكر : والله لا يسرُّ الله هؤلاء ، وسينصر الروم على فارس بعد ثلاث سنين .
لأن كلمة بضع تعني من الثلاثة إلى العشرة ، فأخذها الصِّدِّيق على أدنى مدلولاتها ، لماذا؟ لأنه الصِّديق ، والحق - سبحانه وتعالى - لا يُحمِّل المؤمنين مشقة الصبر مدة التسع سنين ، وهذه من الصديقية التي تميز بها أبو بكر رضي الله عنه .
لذلك قال أبو بكر لأ ُبيِّ بن خلف : والله لا يقرّ الله عيونكم - يعني : بما فرحتم به من انتصار الكفار - وقد أخبرنا الله بذلك في مدة بضع سنين ، فقال أ ُبيٌّ :
أتراهنني؟ قال : أراهنك على كذا من القلائص - والقلوص هي الناقة التي تركب - في ثلاث سنين عشر قلائص إن انتصرت الروم ، وأعطيك مثلها إن انتصرت فارس .
فلما ذهب أبو بكر إلى رسول الله ، وأخبره بما كان قال : » يا أبا بكر زِدْه في الخطر ومادّه « ، يعني زِدْ في عدد النوق من عشرة إلى مائة وزده في مدة من ثلاث سنين إلى تسع ، وفعلاً ذهب الصِّديق لأبيٍّ وعرض عليه الأمر ، فوافق في الرهان على مائة ناقة .

فلما اشتدّ الأذى من المشركين ، وخرج الصَّدِّيق مهاجراً رآه أ ُبيٌّ بن خلف فقال : إلى أين أبا فصيل؟ وكانوا يغمزون الصِّدِّيق بهذه الكلمة ، فبدل أن يقولوا : يا أبا بكر . والبَكر هو الجمل القوي يقولون : يا أبا فصيل والفصيل هو الجمل الصغير - فقال الصِّديق : مهاجر ، فقال : وأين الرهان الذي بيننا؟ فقال : إن كان لك يكفلني فيه ولدي عبالرحمن ، فلما جاءت موقعة بدر رأى عبد الرحمن أ ُبياً فقال له : إلى أين؟ فقال : إلى بدر ، فقال : وأين الرهان إنْ قتِلتَ؟ فقال : يعطيك ولدي .
وفي بدر أصيب أ ُبيٌّ بجرح من رسول الله مات فيه ، وقدَّم ولده الجُعْل لعبد الرحمن ، فذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (تصدقوا به)

٩- قبل الرِّماء تُملأ الكنائن و إنْ كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً

ويُروى في مجال الأمثال أن رجلاً خرج للصيد معه آلاته : الكنانة وهي جُعْبة السهام ، والسهام ، والقوس ، فلما رأى ظبياً أخذ يُعدّ كنانته وقوسه للرمي لكن لم يمهله الظبي وفَرَّ هارباً ، فقال له آخر وقد رأى ما كان منه : قبل الرِّماء تُملأ الكنائن ، فصارت مثلاً وإن قيل في مناسبة بعينها إلا أنه يُضرَب في كل مناسبة مشابهة ، ويقال في أيِّ موضع كما هو وبنفس ألفاظه دون أن نُغيِّر فيه شيئاً .
فمثلاً ، حين ترى التلميذ المهمل يذاكر قبيل الامتحان ، وحين ترى مَنْ يُقدِم على أمر دون أنْ يُعدّ له عُدَّته لك أنْ تقول : قبل الرِّماء تُملأ الكنائن . إذن : هذه العبارة صار لها مدلولها الواضح ، وترسَّخَتْ في الذِّهْن حتى صارت مَثَلاً يُضرب .
وتقول لمن تسلَّط عليك وادَّعى أنه أقوى منك إنْ كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً .

١٠- لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظرنا

سعد بن معاذ سمع واحدا من اليهود يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا وسعد كان من أحبار اليهود ويعرف لغتهم فلما سمع ما قاله فهم مراده . فذهب إلى اليهودي وقال له لو سمعتها منك مرة أخرى لضربت عنقك . . وقال اليهودي أو لستم تقولونها لنبيكم؟ أهي حرام علينا وحلال لكم؟ فنزلت الآية الكريمة تقول : { لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظرنا } . . ولو تأملنا كلمة (راعنا) وكلمة (انظرنا) لوجدنا المعنى واحدا . . ولكن (انظرنا) تؤدي المعنى وليس لها نظير في لغة اليهود التي تعني الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

١١- إن الله عصمني من الناس فاذهبوا أنتم

قرأت امرأة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان له حراس من المؤمنين يقومون بحراسته من الكافرين . وبعد ذلك جاء يوم وصرف الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء الحراس ، وقال لهم ما معناه : إن الله عصمني من الناس فاذهبوا أنتم . قالت المرأة : والله لو خَدع الناس جميعا ما خَدع نفسه في حياته ، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

وقلنا : إن ساعة الضيق والمحنة لا يَكذب الإنسان نفسه ولا يخدعها ، وسبق أنْ ذكرنا قصة حلاق الصحة الذي كان يحلّ محلّ الطبيب الآن ، فلما أنشئت كليات للطب وخرَّجت أطباء ، وذهب أحدهم إلى قرية الحلاق ، فأخذ الحلاق يهاجمه ويدَّعي أنه حديث لا خبرةَ له ، فلما مرض ابنه وأحسَّ بالخطر أخذه خُفْيَة في ظلام الليل ، وذهب به إلى الطبيب ، لماذا؟ لأنه لن يغشَّ نفسه في هذه اللحظة

١٢- الربا : كل قرض جَرَّ نفعاً فهو ربا .

في تعريف الربا :كل قرض جَرَّ نفعاً فهو ربا .

حتى أن الإمام أبا حنيفة كان يجلس في ظل لجاره ، فلما طلب منه جاره مالاً وأقرضه رآه الجار لا يجلس في ظل الجدار كما كان يجلس ، فسأله عن ذلك فقال : كنت أجلس في ظل جدارك وأعلم أنه تفضّل منك ، أما الآن فأخاف أنْ أجلس فيه حتى لا تظن أن هذه الجلسة للمال الذي أخذتَه مني .

١٣- ما وراءك يا عصام

وسبق أنْ مَثّلنا لذلك بالملك الذي أرسل امرأة تخطب له أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ، وكان اسمها (عصام) ، فلما عادت من المهمة بادرها بقوله : ما وراءكِ يا عصام؟ فصارت مثلاً يُقال في مثل هذه المناسبة مع أنه قيل في حادثة مخصوصة

والمثل يقال كما هو ، لا نغير فيه شيئاً ، فنقول : ما وراءك يا عصام للمذكر وللمؤنث ، وللمفرد وللمثنى وللجمع .

ومن ذلك نُشبِّه الكريم بحاتم ، والشجاع بعنترة . .الخ لأن حاتماً الطائي صار مضربَ المثل في الكرم ، وعنترة في الشجاعة . وفي المثال نقول لمن يواجه بمَنْ هو أقوى منه :إنْ كنت ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً ، ونقول لمن لم يُعِدّ للأمر عُدَّته : قبل الرماء تُملأ الكنائن .

إذن المثل قول شبه مضربه الآن بمورده ، سابقاً لأن المورد كان قوياً وموجزاً لذلك حُفِظ وتناقلته الألسنة .

١٤- والسوءات أربع : اثنتان للرجل واثنتان للمرأة ، فكأن كل إنسان منهما لا يرى سوءتيه ، وكذلك لا يرى سوءتي الآخر ، لأن السوءات كلها لها ما يخفيها عن الرؤية

وهذا كلام معقول جداً . ألم تقل سيدتنا أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- : « ما رأيت ولا أرى مني »، وفي هذا القول تتجلّى قمة الأدب لأنها لم تجيء حتى باللفظ ، لأن العضو مادام سوءة فهو مبني على الستر . وذلك حين حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) ، تعجبت السيدة عائشة فقال لها : الأمر أخطر من أن ينظر أحد إلى أحد .

{ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا } [الأعراف : ٢٠]

__وبماذا ووري؟__ . لا بد أن هناك لباساً كان على كل منهما ، وقال العلماء الكثير عن هذا اللباس ، فمن قائل إن أظافر الإِنسان هي بقية اللباس الذي كان موجوداً عند آدم وحواء ، وهو ما كان يواري السوءات ، ويقال : إنّ أيّ إنسان يكون في غاية الضحك والانبساط ، ويريد أن يكتم نَفَسه ، ويمنعها ويحول بينها وبين الضحك إنه يحدث له ذلك لو نظر إلى أظافره ، عندئذ لا يمكنه أن يضحك لأنها بقية لحظة الندم على كشف السوءة .

١٥-- **__لقد استعذت بمعيذ__**

قتادة- رضي الله عنه- يقول : **« المؤمن بالله يُخدع » .**

« والنبي عليه الصلاة والسلام عقد على امرأة ودخلت به ، ومن كيد النساء وهن زوجات للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خفن أن يشغف بها حُبًّا ، فقلن لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحب هذه الكلمة ، فإذا دخل عليك فقوليها**!** ، قولي : » أعوذ بالله منك « ، وكانت غِرَّة ساذجة

ولحظة أن دخل عليها سيدنا رسول الله ، قالت له : » أعوذ بالله منك « . فقال لها : استعذت بمعاذ . ولم يقربها الرسول » ،

، الحقي بأهلك

وهذا ما يشرح لنا كيف يُخدع المؤمن بالله

وها هو ذا سيدنا عبد الله بن عمر كان يعتق من العبيد من يحسن الصلاة ويتقنها ويؤديها في مواعيدها ، ويقف فيها خاشعاً ، وحين عرف العبيد ذلك احترفوا إقامة الصلاة أمام المكان الذي يجلس فيه وكانوا يؤدونها بخشوع ، وكان رضي الله عنه يعتقهم ، وذهب له من يقول : إن العبيد يخدعونك ، فيقول : من خدعنا بالله ، انخدعنا له .

١٦- **__تعطي كل نعمة حقها__**

ولذلك جاء في الأثر :

« لو أنفقت مثل أحد ذهباً في حِلِّ ما اعتبرت مسرفاً ، ولو أنفقت درهماً واحداً في محرم لاعتبرت مسرفاً » .

ولذلك يطلب منك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعطي كل نعمة حقها بشرط ألا يؤدي بك ذلك إلى البطر

١٧- **__يا عثمان خصاء أمتي الصوم__**

وحينما ذهب إليه سيدنا عثمان بن مظعون ، وقد أراد أن يترهب ، ويتنسك ، ويسيح في الكون ، وقال لرسول الله : يا رسول الله ، إنني أردت أن اختصي؛ أي

يقطع خصيتيه؛ كي لا تبقى له غريزة جنسية ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا عثمان خصاء أمتي الصوم »

١٨-: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ } الاعراف٤٣

وقوله الحق : **{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ }** ينطبق- أيضا- على أهل الاجتهاد الذين اجتهد كل منهم في الدنيا ، واختلفوا ، هؤلاء يبعثون يوم القيامة وليس في صدر أحدهم غل ولا حقد .لذلك تجد سيدنا الإِمام عليّا -كرم الله وجهه- حين يقرأ هذه الآية يقول : « اللهم اجعلني أنا وعثمان وطلحة والزبير من هؤلاء » . لأن هؤلاء هم الذين وقع بينهم الخلاف في مسألة الخلافة ، وكل منهم صحابي ومبشر بالجنة ، فإن كانت النفوس قد دخلت فيها أغيار ، فإياكم أن تظنوا أن هذه الأغيار سوف تصحبكم في دار الجزاء في الآخرة؛ لأن الله يقول : { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ } .

إن الخلاف كان خلافاً اجتهادياً بين المؤمنين وهم قد عملوا الصالحات وكل منهم أراد الحسن من الأعمال ، ونشأ عن ذلك في أغيار الدنيا شيء من عمل القلب ، فأوضح سبحانه : إياكم أن تفهموا أن ذلك سوف يستمر معهم في الآخرة؛ لأنهم جميعاً حينما اختلفوا كانوا يعيشون باجتهادات الله ، وفي الآخرة لا اجتهاد لأحد .

ويريد الحق أن يجعل هذا الأمر قضية كونية ، ومثال ذلك تجد رجلاً قد تزوج امرأة بمقاييس غير مقاييس الله في الزواج؛ تزوجها لأنها جميلة مثلاً ، أو لأن والدها له جاه أو غني ، وبعد الزواج لم يعطه والدها الغني شيئاً من ماله فيقول : غشني وزوجني ابنته ، أو كانت جميلة ، ثم لقى فيها خصال قبيحة كثيرة فكرهها ، ونقول لمثل هذا الرجل : مادمت لم تأخذها بمقاييس الله فعليك أن تنال جزاء الاختيار .

ولكن من تزوج امرأة علىدين الله ، ووجد منها قبحاً ، فلن يصحبه هذا القبح في الآخرة ، ولذلك نجد الحق قد جاء بهذه القضية بالذات ، ولم يأت بها في الأبناء أو في البنات ، بل في الزوج والزوجة لأنهما عماد الأسرة . فبيّن للرجل : إياك أن تتخيل أن المرأة التي أغاظتك أو أتعبتك أو كدرت عليك بخصلة سيئة فيها ، إياك أن تظن أن هذه الخصلة السيئة ستصاحبها في الآخرة ، ولذلك قال سبحانه :

{وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ . . . } [آل عمران : ١٥]

وأزواج مطهرة من الأشياء التي كنت تغضب منها وستكون مطهرة بتطهير الله لها

١٩- رحم مقطوعة

وقد قلنا من قبل : إن سيدنا معاوية كان يجلس ثم دخل عليه الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل بالباب يقول إنه أخوك ، فتساءلت ملامح معاوية وتعجب وكأنه

يقول لحاجبه : ألا تعرف إخوة أمير المؤمنين؟ وقال له : أدخله ، فأدخله . قال معاوية للرجل : أي إخوتي أنت؟!
قال له : أخوك من آدم .
فقال معاوية : رحم مقطوعة - أي أن الناس لا تتنبه إلى هذه الأخوة - والله لأكونن أول من وصلها

٢٠- السحابة السوداء

وكان العرب قديماً إذا حزبهم أمر ، أو دعتهم ضرورة إلى شيء خرج عن أسبابهم يذهبون إلى بيت الله؛ ليضرعوا إلى الله أن يخلصهم منه ، حتى الكفرة منهم كانوا يفعلون ذلك . كما حدث من عاد حين أرسل الله إليهم سيدنا هودا نبيًّا فكذبوه وازدادوا عتوّا وتجبراً فأصابهم جدب وظل ثلاث سنوات فما كان منهم ألا أن فزعوا إلى الكعبة لكي يدعوا ربهم أن يخفف عنهم العذاب ، وذهب واحد منهم اسمه « قيل بن عنز » ، وآخر اسمه « مرثد بن سعد » الذي كان يكتم إسلامه على رأس جماعة منهم إلى مكة ، وكان لهم بها أخوال من المعاليق؛ من أولاد عمليق بن لاوث بن سام بن نوح ، وكانوا هم الذين يحكمون مكة في هذا الوقت ، وعلى رأسهم واحد اسمه « معاوية بن بكر » ، فنزلوا عنده ، وأكرم وفادتهم على طريقة العرب ، واستضافهم ضيافة ملوك وأمراء ، وجاء لهم بالقيان والأكل والشراب ، فاستمرأوا الأمر ، وظلوا شهراً ، فقال معاوية بن بكر : لقد جاءوا لينقذوا قومهم من الجدب وما فكروا أن يذهبوا إلى الكعبة ، ولا فكروا في أن يدعوا ربنا وأخاف أن أقول لهم ذلك فيقولوا إنه ضاق بنا . وتكون سبّة فيّ . وأخذ يفكر في الأمر . وكان عنده مغنيتان اسمهما « الجرادتان » . فقالت المغنيتان : قل في ذلك شعراً ، ونحن نغنيه لهم ، فقال معاوية :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يمطرنا غماماً
فيسقى أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما

فلماغنتا ، والغناء فيه ترديد وخصوصاً إذا كان غناءً موجهاً « ألا يا قيل ويحك قم فهينم » وهينم : أي ادعوا الله ، ألم تحضر من أجل الدعاء لعل الله يمطرنا الغمام على أرض عاد ، وينتهي الجدب ، وقد بلغ منهم الجهد أنهم لا يبينون الكلام ، فتنبه القيل ، وتنبه مرثد بن سعد ، وكان قد نمى إلى علم « القيل » أن مرثد بن سعد مؤمن بهود عليه السلام ، فرفض أن يصحبه معه ، وبالفعل ذهب قيل وأخذ يدعو الله ، فسمع هاتفاً يقول له : « اختر قومك » وقد رأى سحابة سوداء وسحابة حمراء وسحابة بيضاء ، ونبهه الهاتف أن يختار سحابة تذهب لقومه من بين الثلاثة ، فاختار السحابة السوداء ، لأنها أكثر السحاب ماء ، وهو على قدر اجتهاده اختار السحابة السوداء ، وعادوا لبلادهم ليجدوا السحابة السوداء فقال لهم : أنا اخترت السحابة لأنها توحى بماء كثير منهمر

٢١- سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم

. ويؤكد فرعون : سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم؛ لأن الأبناء هم العدة ، والنساء عادة شأنهن مبني على الحجاب ، وعلى الستر ، وفي إبقاء المرأة وقتل الرجل إذلال للرجال؛ لأن التعب سيكون من نصيب النساء . ولذلك كان العرب حين يغيرون على عدو ، يصحبون نساءهم لتزيد الحمية ولا يخور ولا يجبن واحد وتراه زوجه أو أخته أو ابنته وهو على هذا الحال ، وكذلك كان العرب يخافون الانهزام حتى لا يمسك العدو نساءهم ويأخذهن سبايا .

٢٢- ثراء الملك

وفي الإِسلام نجد عمرو بن عبيد وقد دخل على المنصور قبل أن يكون أميراً للمؤمنين ، وكان أمامه رغيف أو رغيفان ، فقال : التمسوا رغيفاً لابن عبيد . فرد عليه العامل : لا نجد . فلما ولي الخلافة وعاش في ثراء الملك ونعمته دخل عليه ابن عبيد وقال : لقد صدق معكم الحق يا أمير المؤمنين في قوله : { . . . عسى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنظُرَ كَيْفَتَعْمَلُونَ } [الأعراف : ١٢٩]

٢٣- المؤمن المتفاءل

ولذلك نجد المؤمن المتفاءل ينظر إلى الكوب الذي نصفه مملوء بالماء فيقول : الحمد لله نصف الكوب ملآن . أما المتشائم فيقول : إن نصف الكوب فارغ ، وبرغم أن كُلاّ منهما يقرر الحقيقة إلا أن المؤمن المتفائل نظر إلى ما بقي من نعم الله .

إننا نجد ابن جعفر حين ذهب للخليفة الأموي في دمشق وجرحت رجله في أثناء السير من المدينة إلى دمشق ، ولم تكن هناك عناية طبية فتقيحت ، وحين أحضروا له الأطباء وقرروا قطع رجله ، قال بعض الحاضرين :التمسوا له مرقداً أي دواء تخدير يجعله لا يحس بالألم ، فقال : لا ، فإني لا أريد أن أغفل عن ربي لحظة عين ، فلما قطعوها أخذوها ليدفنوها ، فقال هاتوها . فأحضروها له وأمسك بها وقال : اللهم إن كنت قد ابتليت في عضو فقد عافيت في أعضاء .

هذه نظرة المؤمن الذي لا ينظر إلى ما أُخذ منه بل ينظر إلى ما بقي له .

٢٤- فليبق جاراً لنا وليأخذ ما يريد من مال .

وعرفنا قصة « أبودلف »وكان رجلاً كريماً في بغداد . يعيش في نعمته كل الناس ومن يحتاج يعطيه . وطرأ طارئ على جار فقير له ، وأراد أن يبيع داره ، فعرض الدار للبيع ، وسألوه عن الثمن الذي يرتضيه ، فقال : داري بمائة دينار . لكن جواري لأبي دلف بألف دينار ، فبلغ هذا الكلام أبا دلف فقال :إن رجلاً قدر

جوارنا بعشرة أمثال ما قدر به داره لحقيق ألا يفرّط فيه . قالوا له :فليبق جاراً لنا وليأخذ ما يريد من مال .

٢٥-وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)

وإذ تنصرف إلى الزمن ، أي اذكر وقت أن أخذ الله من بني آدم
إن الرب هنا هو الآخذ ، وبنو آدم مأخوذ منهم ، والمأخوذ هو الذرية . وبنو آدم هم أولاد آدم من لدنه إلى أن تقوم الساعة ،
وهنا اتحد المأخوذ والمأخوذ منه ، ولابد أن نرى تصريفاً في هذا النص؛ لأنه يشترط أن يكون المأخوذ منه كلاً ، والمأخوذ بعضه .
والمثال : إن أنا أخذتُ منك شيئاً ، فالمأخوذ منه هو الكل ، والمأخوذ بنفسه هوالبعض . لكننا هنا نجد المأخوذ هو عين المأخوذ منه ، وأزال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الإشكال في هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه :
« لما خلق الله أدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وميضاً من نور ثم عرضهم على آدم ، فقال : أيْ رَبَّ . من هؤلاء؟ قال : هؤلاء ذريتك .فرأى رجلاً منهم . فأعجبه وميض ما بين عينيه . فقال : أي رب . من هذا؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له داود ، فقال : رب كم جعلت عمره؟ قال : ستين سنة . قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة ، فلما قُضي عُمُر آدم جاءه ملك الموت . فقال : أو لم يَبْقَ من عُمُري أربعون سنة؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدمُ فجحدتُ ذُريته ، ونسي فنسيت ذريته . وخطئ آدم فخطئت ذريته »

إذن ذرية آدم أُخذت من ظهر آدم . وعرفنا من قبل أنّ كُلاً منا قبلَ أن تحملَ به أمّه كان ذَرَّةً في ظهر أبيه ، وأبوه كان ذرّة في ظهر أبيه حتى آدم . وهكذا نجد أنَّ كل واحد مأخوذ من ظهره ذرية ، هناك أناس يؤخذون - كذرية - ولا يؤخذ منهم ، مِّثل من فرض عليهم الله أن يكون الواحد منهم عقيماً ، وكذلك آخرُ جيل تقومُ عليه الساعة ، ولن ينجبوا . وآدم مأخوذ منه لأنه أول الخلق ، وهو غير مأخوذ من أحد . وما بين الأب آدم وآخر ولد؛ مأخوذ ومأخوذ منه . وبذلك يكون كل واحد مأخوذ ومأخوذ منه ، وهكذا يستقيم المعنى .
والمأخوذ منه آدم ثم كل ولد من أول أولاد آدم إلى الجيل الأخير الذي سينقطع عن النسل .
وأوضح النبي صلى الله عليه وسلم : أن ربنا سبحانه وتعالى مسح بيده على ظهر آدم وأخرج منه الذرية ، وقال لهم : ألست بربكم؟ قالوا : بلى . وبهذا عَلمْنا أنَّ كل ذرّة من الذرات قد أُخذت مما قبلها ، وأُخذ منها ما بعدها؛ وكلها مأخوذ ومأخوذ منه ، اللهم إلا القوسين؛ القوس الأول :آدم لأنه مأخوذ منه وليس مأخوذاً من شيء

، والقوس الثاني :آخر ولد من أولاده مأخوذ وليس مأخوذاً منه؛ لأن الإنسان منا وُجد من حيوان أبيه المنويّ .

٢٦- **لقد رفع الإسلام الخسيسة**

ومشهورة قصة الصِّدِّيق أبي بكر لما أَدخل عليه المستضعفين أمثال : عمار وبلال . . وترك صناديد قريش بالباب ، فعاتبه أبوه على ذلك : كيف يُدخِل العبيد ويترك هؤلاء السادة بالباب؟ فقال أبو بكر : يا أبي ، لقد رفع الإسلام الخسيسة ، وإذا كان هؤلاء قد ورمتْ أنوفهم أن يدخل العبيد قبلهم ، فكيف بهم حين يُدخِلهم اللهُ الجنةَ قبلهم؟

وعجيب أن يصدر هذا الكرم من الصِّدِّيق أبي بكر ، مع ما عُرف عنه من اللين ورِقّة القلب والحلم .

وهذا لون من تبديل الأحوال واجتماع الأضداد

٢٧- **إن الإمام علياً رضي الله عنه حينما ذهب ليدفن فاطمة بنت رسول الله** صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وقف عند قبر رسول الله وقال : السلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، قلَّ عن صفيتك صبري ، ورقَّ عنها تجلُّدي ، إلا أن لي في التعزي بعظيم فُرْقتك وفادح مصيبتك موضع تأسٍّ - يعني : الذي تحمَّل فقدك يا رسول الله يهون عليه أيُّ فقد بعدك - فلقد وسدُتك يا رسول الله في ملحودة قبرك ، وفاضت بين سَحْري ونَحْري نفسك ، أما ليلي فمُسهَّد ،وأما حزني فَسَرْمَد ، إلى أنْ يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، هذا وستخبرك ابنتك عن حال أمتك وتضافرها على هضمها . . . فَأصْغِها السؤال ، واستخبرها الحال ، هذا ولم يَطلُّ منك العهد ، ولم يخْلُ منك الذكر .

ثم لما أراد أنْ ينصرف عن قبر حبيبه قال : والسلام عليك سلام مُودِّع ، لا قال ولا سئم ، فإنْ انصرف فلا عن ملالة ، وإنْ أُقِم فلا عن سوء ظنَّ بما وعد الله به عباده الصابرين .

٢٨- **{ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً } [السجدة : ١٨]**

وقيل :إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين جادل علياً رضي الله عنه . فقال له أنا أشبُّ منك شباباً ، وأجلد منك جَلَداً ، وأذرب منك لساناً ، وأحدُّ منك سناناً ، وأشجع منك وجداناً ، وأكثر منك مَرَقاً ، فردَّ عليه عليٌّ - كرَّم الله وجهه - بما يدحض هذا كله ويبطله ، فقال له : اسكت يا فاسق ، ولا موهبة لفاسق .

والمعنى : إنْ كنت كما تقول فقد ضيعتَ هذا كله بفسقك ، حيث استعملتَ قوة شبابك وجَلَدك وذَرَب لسانك وشجاعة وجدانك في الباطل وفي المعصية ، وفي الصدِّ عن سبيل الله .

٢٩- عبد الله بن سلام

ما رُوي عن عبد الله بن سلام أنه لما أراد أنْ يؤمن أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهْتٌ - يعني : يتبجحون بالكذب - فإذا أسلمتُ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ . فاسألهم عني يا رسول الله قبل أنْ أعلن إسلامي ، فلَما اجتمع اليهود سألهم رسول الله : ما تقولون في ابن سلام؟ فقالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وابن حبرنا . . . فقال عبد الله : أما وقد قالوا ما قالوا يا رسول الله فأشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقالوا : شرُّنا وابن شرِّنا .
فقال عبد الله : ألم أَقُلْ لك يا رسول الله أنهم قوم بُهْتٌ؟

٣٠- يدَّعي النبوة

ويُرْوَى أنه في عهد الخليفة المأمون ادَّعَى أحدهم النبوة ، فحبسوه ، ثم ادعاها آخر فقال : اجمعوا بينهما حتى يواجه أحدهما الآخر ، فلما حضرا قالوا : يا هذا إن هذا الرجل يدَّعي النبوة ، فقال كذب ، أنا لم أُرسِل أحداً . وهكذا جعل من نفسه إلهاً بعد أن كان نبياً .

٣١- وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨)

النخل من الزروع ، لكن خصَّ النخل بالذِّكْر ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتم به ، وشبَّهه بالمؤمن في الحديث : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها » فلما خرج عمر وابنه عبد الله قال : يا أبي ، لقد وقع في ظني أنها النخلة؛ لأنها مثل المؤمن كل ما فيه خير .
نعم لو تأملتَ النخلة لوجدتَ أن كل شيء فيها نافع ، وله مهمة ، وينتفع الزارع به ، ولا يُلْقَى منها شيء منهما كان بسيطاً .
فالجذوع تُصنع منها السواري والأعمدة ، وتُسقف بها البيوت قبل ظهور الخرسانة ومن الجريد يصنعون الأقفاص
والجزء المفلطح من الجريدة ويسمى (القحف) والذي لا يصلح للأقفاص كانوا يجعلونه على شكل معين ، فيصير (مقشّة) يكنسون بها المنازل .
ومن الليف يصنعون الحبال ، ويجعلونه في تنجيد الكراسي وغيرها ،
حتى الأشواك التي تراها في جريد النخل خلقه الله لحكمة وبقدَرٍ؛ لأنها تحمي النخلة من الفئران أثناء إثمارها ،
والليف الذي يمنو بين أصول الجريد جعله الله حماية للنخلة ، وهي في طور النمو ، وما تزال غَضَّة طرية ، فلا يحمي بعضها على بعض .
إذن : هي شجرة خيِّرة كالمؤمن ، وقد تم أخيراً في أحد البحوث أن أخذوا الجزء الذي يسمى بالقحف ، وجعلوه في تربة مناسبة ، فأنبتوا منه نخلة جديدة .

لذلك « لما قال ابن عمر : إنها النخلة . ذهب عمر إلى رسول الله ، وحكى له مقالة ولده ، فقال صلى الله عليه وسلم : » صدق ولدك « فقال عمر : (فوالله ما يسرني أن فَطِن ولدي إليها أن لي حمر النعم) » .
والذين يزرعون النخيل يروْنَ فيه آيات وعجائب دالّة على قدرة الله تعالى .

ومعنى **{ طَلْعُهَا هَضِيمٌ } الطَّلع** :هو الكوز الذي تخرج منه الشماريخ في الأُنْثى ويخرج منه المادة المخصبة في الذكر ، والتي قال الله عنها : **{ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ }** [الأنعام : ٩٩] .
وفي الّذكر يخرج من الكوز المادة المخصِّبة للنخلة ،
وللقِنْوان أو الشماريخ أطوار في النمو يُسمُّونه **(الخلا)** ، فيظل ينمو ويكبر إلى أنْ يصل إلى نهايته حَدّاً حيث يجمد على هذه الحالة ، ويكتمل نموه الحجمي ، ثم تبدأ مرحلة اللون .
يقولون **(عَفَّ)** النخل : يعني شاب خضرته حمرة أو صفرة .
فإذا اكتمل احمرار الأحمر واصفرار الأصفر ، يسمى **(بُسْر)**
ثم يتحول البُسْر إلى **(الرطب)** حيث تلين ثمرته وتنفصل قِشْرته ،
فإنْ كان الجو جافاً فإنَّ الرُّطَب يَيْبس ، ويتحول إلى **(التمر)** حيث تتبخَّر مائيته ، وتتماسك قِشْرته ، وتلتصق به .
ومعنى **{ هَضِيمٌ }** يعني : غَضٌّ ورَطْب طريٌّ ، وهذا يدل على خصوبة الأرض ، ومنه هضم الطعام حتى يصبر ليِّناً مُسْتساغاً .

٣٢ـ الغرائز
فالغرائز خلقها الله فيك لمهمة ، فعليك أنْ تقف بها عند مهمتك . ومثل الغرائز العواطف من حب وكُرْه وشفقه وحُزْن . . إلخ ، وهذه ليس لها قانون إلا أنْ تقفَ بها عند حدود العاطفة لا تتعداها إلى النزوع ، فأحبب مَنْ شئتَ وأبغض مَنْ شئتَ ، لكن لا تتعدَّ ولا تُرتِّب على العاطفة حكماً .
وقد ذكرنا لهذه المسألة مثالاً بسيدنا عمر - رضي الله عنه - وكان له أخٌ اسمه زيد قُتل ، ثم أسلم قاتله ، فكان عمر كلما رآه يقول له : ازْوِ عني وجهك - يعني : أنا لا أحبك - فيقول : أو عدم حبك لي يمنعني حقاً من حقوقي؟ قال : لا ، قال : إنما يبكي على الحب النساء . يعني : الحب والكره مسائل يهتم بها النساء ، والمهم العمل ، وما يترتب على هذه العواطف .

٣٣ـ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)

وإنْ كانت هذه الآية قد نزلت في عياش بن أبي ربيعة ، فالقاعدة الأصولية تقول : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وكان عياش بن أبي ربيعة أخا عمرو بن هشام (أبو جهل) والحارث بن هشام من الأم التي هي أسماء .

فلما أنْ أسلم عياش ثم هاجر إلى المدينة فحزنت أمه أسماء ، وقالت : لا يظلني سقف ، ولا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شراباً ، ولا أغتسل حتى يعود عياش إلى دين آبائه ، وظلت على هذه الحال التي وصفتْ ثلاثة أيام حتى عضَّها الجوع ، فرجعت وكان ولداها الحارث وأبو جهل قد انطلقا إلى المدينة ليُقنعا عياشاً بالعودة لاسترضاء أمه ، وظلا يُغريانه ويُرقّقان قلبه عليها ، فوافق عياش على الذهاب إلى أمه ، لكن رفض الردة عن الإسلام ، فلما خرج الثلاثة من المدينة قاصدين مكة أوثقوه في الطريق ، وضربه أبو جهل مائة جلدة ، والحارث مائة جلدة .

لكن كان أبو جهل أرأف به من الحارث؛ لذلك أقسم عياش بالله لئن أدركه يوماً ليقتلنه حتى إنْ كان خارجاً من الحرم ، وبعد أن استرضى عياش أمه عاد إلى المدينة ، فقابل أخاه الحارث عند قباء ، ولم يكن يعلم أنه قد أسلمفعاجله ، ونفّذ ما توعده به فقتله ، ووصل خبره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية : { **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً** . . . } [النساء : ٩٢] .

ونزلت :{ **وَمِنَ الناس مَن يِقُولُ آمَنَّا بالله فَإِذَآ أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ الناس كَعَذَابِ الله** . . . } [العنكبوت : ١٠] أي : أراد أنْ يفرّ من عذاب الناس فكفر ، ولم يُرد أن يفرّ من عذاب الله ويؤمن .

٣٤- قوم لوط

قلت له : لماذا ننسب رذيلة قوم لوط إليه فنقول : لوطي . وما جاء لوط إلا ليحارب هذه الرذيلة ويقضي عليها؟

فقال الشيخ : فماذا نقول عنها إذن؟ قلت :إن اللغة العربية واسعة الاشتقاق ، فمثلاً عند النسب إلى عبد الأشهل قالوا : أشهلي ، ولعبد العزيز قالوا : عبدزي ، ولبختنصر قالوا : بختي ، والآن نقول في النسب إلى دار العلوم دَرْعمي . . . إلخ فلماذا لا نتبع هذه الطريقة؟ فنأخذ القاف المفتوحة ، والواو الساكنة من قوم ، ونأخذ الطاء من لوط ، ثم ياء النسب فنقول (قَوْطي) ونُجنِّب نبي الله لوطاً عليه السلام أن ننسب إليه ما لا يليق أن يُنسب إليه .

وقد حضرت احتفالاً لتكريم طه حسين ، فكان مما قلته في تكريمه : (لك في العلم مبدأ طَحَسْني)؛ لأنه كثيراً ما نجد بين العلماء اسم طه ، واسم حسين .

٣٥- صلح الحديبية

لذلك « لما عقد النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية بينه وبين كفار مكة ، ورضي أنْ يعود بأصحابه دون أداء فريضة العمرة غضب الصحابة وعلي وعمر ، ولم يعجبهم هذا الصلح ، وكادوا يخالفون رسول الله غيرةً منهم على دينهم ،

حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سلمة رضي الله عنها وقال : » هلك المسلمون « قالت : ولم يا رسول الله؟ قال : » أمرتهم فلم يمتثلوا « فقالت : يا رسول الله اعذرهم ، فهم مكروبون ، جاءوا على شَوْقٍ لبيت الله ، وكانوا على مقربة منه هكذا ، ثم يُمنعون ويُصدُّون ، اعذرهم يا رسول الله ، ولكن امْضِ فاصنع ما أمرك الله به ودَعْهم ، فإنْ هم رأوْكَ فعلتَ فعلوا ، وعلموا أن ذلك عزيمة .

وفعلاً ذهب رسول الله ، وتحلّل من عمرته ، ففعل القوم مثله » ، ونجحت مشورة السيدة أم سلمة ، وأنقذت الموقف .

« ثم بيَّن الله لهم الحكمة في العودة هذا العام دون قتال ، ففي مكة إخوان لكم آمنوا ، ويكتمون إيمانهم ، فإنْ دخلتم عليهم مكة فسوف تقتلونهم دون علم بإيمانهم .

وكان عمر - رضي الله عنه -كعادته شديداً في الحق ، فقال : يا رسول الله ، ألسنا على الحق؟ قال : صلى الله عليه وسلم : » بلى « قال : أليسوا على الباطل؟ قال صلى الله عليه وسلم » بلى « قال : فَلِمَ نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر : الزم غَرْزَك يا عمر » . يعني قِف عند حدِّك وحجِّم نفسك ، ثم قال بعدها ليبرر هذه المعاهدة : ما كان فتح في الإسلام أعظمَ من فتح الحديبية - لا فتح مكة .

لماذا؟ لأن الحديبية انتزعت من الكفار الاعترافَ بمحمد ، وقد كانوا معارضين له غير معترفين بدعوته ، والآن يكاتبونه معاهدة ويتفقون معه على رأي ، ثم إنها أعطت رسول الله فرصة للتفرغ لأمر الدعوة ونشرها في ربوع الجزيرة العربية ، لكن في وقتها لم يتسع ظنُّ الناس لما بين محمد وربه ، والعباد عادةً ما يعجلون ، والله - عز وجل - لا يعجل بعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد سبحانه .

٣٦- {يَقُولُ ياليتني اتخذت مَعَ الرسول سَبِيلاً }

وإنْ كانت هذه الآية قد نزلت في حدث مخصوص وفي شخص بعينه ، فإنها تعمّ كل مَنْ فعل هذا ،

فالعبرة كما يقولون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهذا جزاء كل ظالم حَادَ عن الجادة .

وهذه الآية « نزلت في حدث خاص باثنين :عقبة بن أبي معيط ، وكان رجلاً كريماً يُطعم الطعام ، وقد دعا مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه ، لكن رسول الله اعتذر له وقال : لا أستطيع أن أحضر طعامك إلا أنْ تشهد أن : لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فلما شهد الرجل الشهادتين زاره رسول الله وأكل من طعامه ، فأغضب ذلك أمية ابن خلف صاحب عقبة فقال له : لقد صبوتَ يا عقبة ، فقال عقبة : والله ما قلتُ ذلك إلا لأنني أحببتُ أن يأكلَ محمد عندي كما يأكل الناس ، فقال أمية : فلا يبرئك مني إلا أنْ تذهب إلى محمد في دار الندوة فتطأ عنقة وتبصق . . إلخ ، وفعل عقبة ما أشار عليه به صاحبه » فنزلت الآية :

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ يَقُولُ ياليتني اتخذتمَعَ الرسول سَبِيلاً } [الفرقان : ٢٧] والمراد بالسبيل قوله : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)

الويل : الهلاك ، فهو يدعو الهلاك ويناديه أنْ يحلّ به ، والإنسان لا يطلب الهلاك لنفسه إلا إذا تعرّض لعذاب أشدّ من الهلاك

فلما كانت المسألةُ أكبر منه وفوق احتماله نادى يا ويلتي احضري ، فهذا أوانك لتخلِّصيني مما أنا فيه من العذاب .

وقوله {لَيْتَنِي } تَمَنٍّ ، والتمنّي طلب أمر محبوب لا سبيلَ إلى حصوله

وكلمة (فلان) تقولها كناية عن شخص لا تحب حتى ذِكْر اسمه ، فعقبة (ابن أبي مُعيط) لم يقل : ليتني لم أتخذ أمية (بن خلف)خليلاً إنما قال (فلاناً) لأنه كاره له يبغض حتى ذكر اسمه .

والخليل :من الخُلَّة والمخالَّة يعني : الصداقة المتداخلة المتبادلة

٣٧- عمر بن عبد العزيز

ويروي أن عبد الملك بن مروان لما أراد أن يُزوِّج ابنته فاطمة من عمر بن عبد العزيز اختبره بهذا السؤال ليعرف ميزانه في الحياة : يا عمر ، ما نفقتك؟ قال : يا أمير المؤمنين ، نفقتي حسنة بين سيئتين ، ثم تلا هذه الآية : **{والذين إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }** [الفرقان : ٦٧] .

فعلم الخليفة أن زوج ابنته يسير سَيْراً يضمن له ولزوجته مقوّمات الحياة ، ويضمن كذلك المقومات العليا للنفس وللمجتمع .

٣٨- لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)

ولهذه الآية قصة . . واقتناص الخواطر من هذه القصة يتطلب يقظة تعلمنا كيف يخاطب الحق خلقه . فقد حدثنا سيدنا زيد بن ثابت وهو المأمون على كتابه وحي رسول الله . وهو المأمون على جمع كتاب الله من اللخاف ومن العظام ومن صدور الصحابة ، حدثنا فقال :

كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغشيته السكينة -وهذه كانت دائماً تسبق نزول الوحي على رسول الله - فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن تَرُضَّها .

أي أن فخذ رسول الله كانت ثقيلة .

والوحي ساعة كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّما كان يصنع في كيماوية رسول الله تأثيرا مادياً بحيث إذا كان على دابة عرف الناس أنه يوحي إليه؛ لأن الدابة كانت تئط تحته فإذا كانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذ زيد بن ثابت ، فلا بد أن يشعر سيدنا زيد بثقل فخذ رسول الله وقد جاءه الوحي . قال زيد : خشيت أن ترضّ فخذه فخذي - أي تصيبها بالدّق الشديد أو الكسر .

فلما سُري عنه قال اكتب : « لاَّ يَسْتَوِي القاعدون مِنَ المؤمنين والمجاهدون » ، فقال سيدنا ابن أم مكتوم ، وكان - كما نعلم -ضريراً مكفوف البصر قال : فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين يا رسول الله؟

إنها اليقظة الإيمانية من ابن أم مكتوم ، لأنه فهم موقفه من هذا القول ، ومن أنه لا يستطيع الجهاد ، وعلم أنه إن كانت الآية ستظل على هذا فلن يكون مستوياً مع من جاهد ، ولهذا قال قولته اليقظة : فكيف بمن لا يستطيع ذلك يا رسول الله؟

فأخذت رسول الله السكينة ثانيةّ ، ثم سرى عنه ، فقال لزيد بن ثابت : اكتب : {لاَّ يَسْتَوِي القاعدون مِنَ المؤمنين غَيْرُ أُوْلِي الضرر والمجاهدون فِي سَبِيلِ الله } فكأنها نزلت جواباً مطمئناً لمن لا يستطيع القتال مثل ابن أم مكتوم ، . ولقائل أن يقول : وهل كانت الآية تنتظر أن يستدرك ابن أم مكتوم ليقول هذا؟ .

ونقول : إن الحق سبحانه وتعالى أراد أن ينبه كل مؤمن أنه حين يتلقى كلمة من الله أن يتدبر ويتبيّن موقعه من هذه الكلمة؛ فإذا كان ذلك حال سيدنا ابن أم مكتوم فيما سمع رسول الله عن ربه فهو يعلمنا كيف نستحضر دورنا من أية قضية نسمعها . وحينما سمع ابن أم مكتوم الآية رأى موقفه من هذه الآية ، وهذا ما يريده الحق من خلقه .

وقال زيد بن ثابت : فكتبتها .

إنها الدقة في أداء زيد بن ثابت لتدلنا على صدق الرواية ، فحين يكتب أولاً {لاَّ يَسْتَوِي القاعدون مِنَ المؤمنين غَيْرُ أُوْلِي الضرر والمجاهدون } ألا تلتصق كلمة « والمجاهدون » بكلمة « المؤمنين » فإذا زاد الحق سبحانه وتعالى {غَيْرُ أُوْلِي الضرر } فأين تكتب؟

كأن زيد بن ثابت كان عليه أن يقوم بتصغير الكتابة ليكتب {غَيْرُ أُوْلِي الضرر } بين كلمة { مِنَ المؤمنين } وكلمة { والمجاهدون } .

٣٩-**قول المرأة للخليفة** :

{ وَقَرِّي عَيْناً } [مريم : ٢٦]

قرّي : أي : اسكني . وهذا التعبير عند العرب كناية عن السرور ، وقد يستعمل هذه التعبير في المقابل أي : في الشر والدعاء على إنسان وتمني الشر له ، كالمرأة التي دخلتْ على أحد الخلفاء فنهرَها فقالت له : أتمَّ الله عليك نعمته وأقرَّ عينك . فظنَّ الحضور أنها تدعو له ، لكنه فَطِن لمرادها ، فقال لجلسائه : ما

فهمتم ما تقول ، إنها تقصد أتمَّ الله عليك نعمته أي : أزالها ، أما سمعتم قول الشاعر :

إذَا تَمَّ شَيءٌ بَدَا نَقْصُه ... ترقَّبْ زَوَالاً إذا قِيلَ تَمْ

ذلك لأن الإنسان بطبيعته ابن أغيار ، لا يثبت على حال ، فإذا ما وصل إلى القمة وتمتْ له النعمة ، وهو ابن أغيار فلا بُدَّ أنْ يتحوَّل عنها .

وقولها : أقرَّ الله عينك ، أي : أسْكَنَها بالعمى .

٤٠- **<u>وأذكر أنني حينما سافرت إلى السعودية</u>** سنة ١٩٥٠ ركبتُ مع أحد الزملاء سيارته ، وفي الطريق رأيته نزل من سيارته ، وذهب إلى أحد المنازل ، وكان أمامه طاولة من الخشب مُغطَّاة بقطعة من القماش ، فأخذها ووضعها في السيارة ، ثم سِرْنا فسألْته عما يفعل ، فقال : من عاداتنا إذا رأيتُ مثل هذه الطاولة على باب البيت ، فهي تعني أن صاحب البيت غير موجود ، وأن ربة البيت قد أعدَّتْ العجين ، وتريد مَنْ يخبزه فإذا مَرَّ أحدنا أخذه فخبزه ، ثم أعاد الطاولة إلى مكانها .

لذلك ، فإن الصحابي الذي حدَّثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر الشهيد ، وتيقَّن أنه ليس بينه وبين الجنة إلا أنْ يُقتل في سبيل الله ، وكان في يده تمرات يأكلها فألقاها ، ورأى أن مدة شغله بمضغها طويلة؛ لأنها تحول بينه وبين هذه الغاية ، ألقاها وأسرع إلى الجهاد لينال الشهادة . لماذا؟ لأنه أجرى مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة .

٤١- ويقول صلى الله عليه وسلم : » **ليس لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدقْتَ فأبقيْتَ** « .

لذلك كان أولو العزم حين يدخل على أحدهم سائل يسأله ، يقول له : **مرحباً بمَنْ جاء يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجرة .**

٤٢- **<u>من أهل الدنيا ، أم من أهل الآخرة؟</u>**

والإمام علي - رضي الله عنه - جاءه رجل يسأله : أأنا من أهل الدنيا ، أم من أهل الآخرة؟ فقال : جواب هذا السؤال ليس عندي ، بل عندك أنت ، وأنت الحكم في هذه المسألة . فإنْ دخل عليك مَنْ تعودت أنه يعطيك ، ودخل عليك مَنْ تعودت أنْ يأخذ منك ، فإنْ كنتَ تبشُّ لمن يعطي ، فأنت من أهل الدنيا ، وإنْ كنتَ تبشُّ لمَنْ يسألك ويأخذ منك ، فأنت من أهل الآخرة ، لأن الإنسان يحب من يعمر له ما يحب ، فإنْ كنتَ محباً للدنيا فيسعدك مَنْ يعطيك ، وإنْ كنتَ محباً للآخرة فيسعدك مَنْ يأخذ منك .

٤٣- **<u>كيف نحترم الآخرين؟</u>**

والنبي صلى الله عليه وسلم يُعلِّمنا كيف نحترم الآخرين؟ وكيف نتواضع لهم؟ فلما دخل عليه الصحابي الجليل عدي بن حاتم قام عن كرامة مجلسه له ، يعني : إن كانْ جالساً على (وسادة مثلاً) يقوم عنها ، ويعطيها لصاحبه ليجلس هو عليها .
وهكذا يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على المساواة في المجلس؛ لذلك قال عدي بن حاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم :أشهد أنك لا تريد عُلُواً في الأرض ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأسلم .

٤٤ـ { إِنَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس . . . }

تأويل قوله تعالى { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَآ أَرَاكَ الله وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً** } [النساء : ١٠٥] قصة اليهودي زيد بن السمين لما جاءه المسلم طُعْمة بن أبيريق ، وأودع عنده دِرْعاً له ، وكان هذا الدرع مسروقاً من آخر اسمه قتادة بن النعمانَ ، فلما افتقده قتادة بحث عنه حتى وجده في بيت اليهودي ، وكان السارق قد وضعه في كيس للدقيق ، فدلَّ أثر الدقيق على مكان الدرع فاتهموا اليهودي بالسرقة ، ولما عرفوا حقيقة الموقف أشفقوا أن ينتصر اليهودي على المسلم ، خاصة وهم حديثو عهد بالإسلام ، حريصون على ألاّ تُشوه صورته .
لذلك شرحوا لرسول الله هذه المسألة ، لعله يجد لها مخرجاً ، فأدار رسول الله المسألة في رأسه قبل أنْ يأخذ فيها حُكماً؛ وعندها نزل الوحي على رسول الله : { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس** . . . } [النساء : ١٠٥] أي : جميع الناس ، المؤمن والكافر { **بِمَآ أَرَاكَ الله وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً** } [النساء : ١٠٥] أي : تخاصم من أجلهم ولصالحهم { **واستغفر الله إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** } [النساء : ١٠٦] أي : مما خطر ببالك في هذه المسألة .
وفي بعض الآيات نجد في ظاهرها قسوة على رسول الله وشدة مثل : { **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوتين**

٤٥ـ حرص أهل التقوى على سلامة الصلاة

ومن حرص أهل التقوى على سلامة الصلاة وتمامها قال أحدهم لصاحبه الذي يحرص على أنْ يؤم الناس : لماذا تحرص على الإمامة وأنت تعرف أن طالب الولاية لا يُولَّى؟ قال : نعم أحرص عليها لأخرج من الخلاف بين الشافعي الذي قال بقراءة الفاتحة خلف الإمام ، وأبي حنيفة الذي قال بأن قراءة الإمام قراءة للمأموم ، فأحرص على الإمامة حتى أقرأ أنا ، ولا أنشغل بهذا الخلاف .
ولما دخل سيدنا عمر - رضي الله عنه - على رجل يصلي ويعبث بلحيته ، فضربه على يده وقال : لو خشع قلبك لخشعتْ جوارحك .

لذلك لما سأل أحد الفقهاء صوفياً : ما حكم مَنْ سها في صلاته؟ قال : حكمه عندنا أم عندكم؟ قال : ألنا عند ولكم عند؟ قال : نعم ، عند الفقهاء مَنْ يسهو في الصلاة يجبره سجود السهو ، أما عندنا فمَنْ يسهو في الصلاة نقتله . يعني مسألة كبيرة .

٤٦ـ المؤلفة قلوبهم

وبعض السطحيين يقولون : لقد ألغى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سهام المؤلفة قلوبهم ، والحقيقة أنه ما ألغى ولا يملك أن يُلغي حكماً من أحكام الله ، إنما لم يجد أحداً من المؤلّفة قلوبهم ليعطيه ، فالحكم قائم لكن ليس له موضوع ، بدليل أن حكم تأليف القلوب قائم ومعمول به حتى الآن في بلاد المسلمين ، وكثيراً ما نحاول تأليف قلوب بعض الكُتّاب وبعض الجماعات لنعطفها نحو الإسلام ، خاصة وغيرنا يبذلون قصارى جهودهم في ذلك . إذن : فسَهْم المؤلفة قلوبهم ما زال موجوداً ويُعمل به .

كما نسمع مَنْ يقول : إن عمر - رضي الله عنه - عطّل حَدَّ السرقة في عام الرمادة ، وهذا ادعاء مخالف للحقيقة؛ لأنه ما عطّل هذا الحد إنما عطَّل نصاً وأحيا نصاً؛ لأن القاعدة الشرعية تقول : ادرأوا الحدود بالشبهات . وما دام قد سرق ليسُدَّ جَوْعته فلم يصل إلى نصاب السرقة ، فالسرقة تكون بعد قدر يكفي الضرورة .

٤٧ـ مِلْك اليمين

ولقائل أن يقول : إذا دارت حرب بين المؤمنين والكافرين وأسروا منا وأسرنا منهم ، ألا يوجد حينئذ مِلْك اليمين؟ نقول : نعم يوجد مِلْك اليمين ، لكن ستواجهك قوانين دولية ألزمتَ نفسك بها وارتضيتها تقول بمنع الرقّ وعليك الالتزام بها ، لكن إنْ وُجِد الرقُّ فمِلْك اليمين قائم وموجود . وهذه المسألة يأخونها سُبّة في الإسلام ، وكيف أنه يبيح للسيد كذا وكذا من مِلْك يمينه .

فالمملوكة أ ُخِذت في حرب أو خلافه ، وكان في إمكان مَنْ يأخذها أن يقتلها ، لكن الحق سبحانه حمى دمها ، ونمَّى في النفس مسألة النفعية ، فأباح لمَنْ يأسرها أن ينتفع بها وأحلّها له أيضاً .

، فإذا ما حملتْ من سيدها فقد أصبحتْ حُرَّة بولدها ، وكأن الحق سبحانه يُسيِّر الأمور تجاه العِتْق والحرية . ألاَ تراه بعد هذا يفتح باب العتق ويُعدِّد أسبابه ، فجعله أحد مصارف الزكاة وباباً من أبواب الصدقة وكَفّارة لبعض التجاوزات التي يرتكبها الإنسان .

٤٨ـ لذلك لما **شتم أحدهم الحسن البصري** وسبَّه في أحد المجالس ، وكان في وقت رُطَب البلح أرسل الحسن إليه طبقاً من الرُّطَب وقال لخادمه : اذهب به إلى فلان وقُلْ له : لم يجد سيدي أثمن من هذا يهديه إليك ، وقد بلغه أنك أهديت إليه حسناتك بالأمس ، وهي بلا شك أعظم من هديتي تلك .

٤٩ـ **الواقفين على أبواب مكة الأربعة**

ووراء ذلك قصة تُوضِّح جوانب الخلاف بين فريق مؤمن ، وفريق كافر .
فحين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وعشيرته إلى الإيمان بالله الواحد الذي أنزل عليه منهجاً في كتاب مُعجز ، بدأت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم تنتشر بين قبائل الجزيرة العربية كلها ، وأرسلت كُلَّ قبيلة وفداً منها لتتعرف وتستطلع مسألة هذا الرسول .
ولكن كُفَّار قريش أرادوا أن يصدُّوا عن سبيل الله؛ فقسَّموا أنفسهم على مداخل مكة الأربعة ، فإذا سألهم سائل من وفود القبائل « ماذا قال ربكم الذي أرسل لكم رسولاً؟ » .
هنا يرد عليهم قسم الكفار الذي يستقبلهم : « إنه رسول كاذب ، يُحرِّف ويُجدِّف » .والهدف طبعاً أنْ يصدّ الكفار وفود القبائل .
ويخبر الحق سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بما حدث ، وإذا قيل للواقفين على أبواب مكة من الوفود التي جاءت تستطلع أخبار للرسول : ماذا أنزل ربُّكم؟ يردُّون « إنه يُردِّد أساطير الأولين » .
وهذا الجواب الواحد من الواقفين على أبواب مكة الأربعة يدلُّ على أنها إجابة مُتفق عليها ، وسبق الإعداد لها ، وقد أرادوا بذلك أنْ يَصرِفوا وفود القبائل عن الاستماع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فشبَّهوا الذِّكر المُنزَّل من الله بمثل ما كان يرويه لهم على سبيل المثال النضر ابن الحارث من قصص القدماء التي تتشابه مع قصص عنترة ، وأبي زيد الهلالي التي تروي في قُرَانا . وهذه هي الموقعة الأولى في الأخذ والرد .

٥٠ـ **سيدنا عثمان بن مظعون**

« ولذلك سيدنا عثمان بن مظعون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب له أن يُسلِم ، وكان يعرض عليه الإسلام دائماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحب عَرْض الإسلام على أحد إلا إذا كان يرى فيه مخايل وشِيَماً تحسن في الإسلام .
وكأنه صلى الله عليه وسلم ضَنَّ بهذه المخايل أن تكون في غير مسلم ، لذلك كان حريصاً على إسلامه وكثيراً ما يعرضه عليه ، إلا أن سيدنا عثمان بن مظعون تريَّث في الأمر ، إلى أن جلس مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلس ، فرآه رفع بصره إلى السماء ثم تنبه ، فقال له ابن مظعون : ما حدث يا رسول الله؟ فقال : إن جبريل عليه السلام قد نزل عليَّ الساعة بقول الله تعالى :
{إِنَّ الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان وَإِيتَآءِ ذِي القربى وينهى عَنِ الفحشاء والمنكر والبغي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل : ٩٠] .
قال ابن مظعون رضي الله عنه : فاستقر حبُّ الإيمان في قلبي بهذه الآية الجامعة لكل خصال الخير .

ثم ذهب فأخبر أبا طالب ، فلما سمع أبو طالب ما قاله ابن مظعون في هذه الآية قال : يا معشر قريش آمِنُوا بالذي جاء به محمد ، فإنه قد جاءكم بأحسن الأخلاق »
« ويُروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعرض نفسه على قبائل العرب ، وكان معه أبو بكر وعلي ، قال علي : فإذا بمجلس عليه وقار ومَهَابة ، فأقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقام إليه مقرون بن عمرو وكان من شيبان ابن ثعلبة فقال : إلى أي شيء تدعونا يا أخا قريش؟ فقال صلى الله عليه وسلم :
إ{نَّ الله يَأ ْمُرُ بالعدل والإحسان وَإِيتَآءِ ذِي القربى وينهى عَن الفحشاء والمنكر والبغي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل : ٩٠] .
فقال مقرون : إنك دعوت إلى مكارم الأخلاق وأحسن الأعمال ، أفِكتْ قريش إن خاصمتْك وظاهرتْ عليك » .
أخذ عثمان بن مظعون هذه الآية ونقلها إلى عكرمة بن أبي جهل ، فأخذها عكرمة ونقلها إلى الوليد بن المغيرة ، وقال له : إن آية نزلت على محمد تقول كذا وكذا ، فأفكر الوليد بن المغيرة أي : فكَّر فيما سمع وقال : والله إن له لحلاوةً ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وأنه يعلو ولا يُعْلَى عليه ، وما هو بقول بشر .

٥١- : « من استعاذ بالله فأعيذوه »

وفي مقم الاستعاذة بالله نذكر قاعدة إيمانية علّمنا إياها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف : « من استعاذ بالله فأعيذوه » .
فيلزم المؤمن أنْ يعيذ من استعاذ بالله ، وإنْ كان في أحب الأشياء إليه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا القدوة في ذلك ، حينما تزوج من فتاة على قدر كبير من الحسن والجمال لدرجة أن نساءه غِرْنَ منها ، وأخَذْنَ في الكَيْد لها وزحزحتها من أمامهن حتى لا تغلبهن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن كيف لهُنَّ ذلك؟
حاولْنَ استغلال أن هذه الفتاة ما تزال صغيرة غِرة ، تتمتع بسلامة النية وصفاء السريرة ، ليس لديها من تجارب الحياة ما تتعلم منه لُؤْماً أو مكراً ، وهي أيضاً ما تزال في نشوة فرحتها بأنْ أصبحت أماً للمؤمنين ، وتحرص كل الحرص على إرضاء النبي صلى الله عليه وسلم فاستغل نساء النبي صلى الله عليه وسلم هذا كله ، وقالت لهن إحداهن : إذا دخلتِ على رسول الله فقولي له : أعوذ بالله منك ، فإنه يحب هذه الكلمة .
أخذت الفتاة هذه الكلمة بما لديها من سلامة النية ، ومحبة لرسول الله ، وحرص على إرضائه ، وقالت له : أعوذ بالله منك ، وهي لا تدري معنى هذه العبارة فقال صلى الله عليه وسلم : (لقد عُذْت بمعاذ ، الحقي بأهلك) .

٥٢- **رخصة التقية**

وفي تاريخ الإسلام نماذج متعددة أخذت بهذه الرخصة ، ونطقتْ كلمة الكفر وهي مطمئنة بالإيمان .

وفي الحديث الشريف : « رفع عن أمتي : الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه » .

ويذكر التاريخ أن ياسر أبا عمار وزوجه سُمية أول شهيدين في الإسلام ، فكيف استشهدا؟ كانا من المسلمين الأوائل ، وتعرّضوا لكثير من التعذيب حتى عرض عليهم الكفار النطق بكلمة مقابل العفو عنهما ، فماذا حدث من هذين الشهيدين؟ صَدَعا بالحق وأصرَّا على الإيمان حتى نالا الشهادة في سبيل الله ، ولم يأخذا برخصة التقية .

وكان ولدهما عمار أول مَنْ أخذ بها ، حينما تعرّض لتعذيب المشركين . « وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمار بن ياسر كفر ، فأنكر صلى الله عليه وسلم هذا ، وقال : » إن إيمان عمار من مفرق رأسه إلى قدمه ، وإن الإيمان في عمار قد اختلط بلحمه ودمه « .

فلما جاء عمار أقبل على رسول الله وهو يبكي ، ثم قص عليه ما تعرَّض له من أذى المشركين ، وقال : والله يا رسول الله ما خلَّصني من أيديهم إلا أنّي تناولتك وذكرت آلهتهم بخير ، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن مسح دموع عمار بيده الشريفة وقال له » إنْ عادوا إليك فَقُلْ لهم ما قلت « .

وقد أثارت هذه الرخصة غضب بعض الصحابة ، فراجعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : فما بال بلال؟ فقال : (عمار استعمل رخصة ، وبلال صدع بالحق) .

٥٣-**موقع الماء من ذي الغُلَّة الصَّادي**

ويُرْوَى أن هلال بن أمية ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله إني رأيتُ فلاناً على بطن زوجتي ، فإنْ تركتُه لآتي بأربعة شهداء لقضي حاجته وانصرف ، وإنْ قتلْته فقد اعتديْتُ عليه .

إذن : ما حَلّ هذا اللغز؟

وينبغي أن نعلم أن الله تعالى لا ينزل التشريع والحكم بدايةً ، إنما يترك في الكون من أقضية الحياة واحداثها ما يحتاج لهذا الحكم ، بحيث ينزل الحكم فيصادف الحاجة إليه ، كما يقولون :موقع الماء من ذي الغُلّة الصَّادي ، يعني : حين ينزل الحكم يكون له موضع فيتلقفه الناس ، ويشعرون أنه نزل من أجلهم بعد أنْ كانوا يستشرفون لحكم في مسألة لم يأت فيها حكم .

٥٤- **أهلُ الإفْك**

وما دام أهلُ الإفك عصبةً فلا بُدَّ أن لهم غاية واحدة في التشويه والتبشيع ، وكان رئيسهم عبد الله بن أ ُبيّ بن سلول ، وهو شيخ المنافقين ، ومعذور في أن يكون كذلك ، ففي اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا يصنعون لعبد الله بن أ ُبيٍّ تاجاً ليُنصِّبوه مَلِكاً على المدينة ، فلما فُوجِيء برسول الله واجتماع الناس عليه وانفضاضهم من حوله بقيت هذه في نفسه .

لذلك فهو القائل : { لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز مِنْهَا الأذل . . } [المنافقون : ٨] يقصد أنه الأعزُّ ، فردَّ عليه الحق - تبارك وتعالى - صدقت ، لكن العزة ستكون لله وللرسول وللمؤمنين ، وعليه فالخارج منها أنت .

وهو أيضاً القائل : { لاَ تُنفِقُواْ على مَنْ عِندَ رَسُولِ الله حتى يَنفَضُّواْ . . } [المنافقون : ٧] والعجيب أنه يعترف أن محمداً رسول الله ، ويقولها علانية ، ومع ذلك ينكرها بأعماله وتصرفاته ، ويحدث تشويشاً في الفكر وفي أداء العبارة .

وما دام أن الحق سبحانه سمَّى هذه الحادثة في حَقِّ أم المؤمنين عائشة إفكاً فلا بُدَّ أنهم قلبوا الحقائق وقالوا ما يناقض الواقع .

والقصة حدثت في غزوة بن المصطلق ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة أجرى قرعة بين زوجاته : مَنْ تخرج منهن معه . وهذا ما تقتضيه عدالته صلى الله عليه وسلم ، وفي هذه الغزوة أقرع بينهن فخرج السهم لعائشة فخرجتْ معه ، وبعد الغزوة وأثناء الاستعداد للعودة قالت السيدة عائشة : ذهبت لأقضي حاجتي في الخلاء ، ثم رجعت إلى هَوْدَجي ألتمس عِقْداً لي من (جَزْع ظَفَار) وهو نوع نفيس .

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤)

فقوله تعالى : { أولئك . . . } أي : أهل الكتاب الذين يؤمنون بالقرآن وهم خاشعون لله ، والذين سبق وصفهم **{أولئك يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ . . .** } أجر لإيمانهم برسلهم ، وأجر لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم .

لذلك جاء في الحديث الشريف : « ثلاثة يُؤْتَوْن أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه مثل آمن بي ، وعبد مملوك أدى حق الله وأدى حق أوليائه ، ورجل عنده أَمَة - جارية - فأدَّبها فأحسن تأديبها ، فأعتقها بعد ذلك ، ثم تزوجها . »

وهؤلاء الذين آمنوا برسلهم ، ثم آمنوا برسول الله استحقوا هذه المنزلة ، ونالوا هذين الأجرين لأنهم تعرضوا للإيذاء ممَّنْ لم يؤمن في الإيمان الأول ، ثم تعرَّضوا للإيذاء في الإيمان الثاني ، فصبروا على الإيذاءين ، وهذه هي حيثية **{ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ . . . }**

تورط في حادثه الإفك جماعة من أفاضل الصحابة ممن طُبِع على الخير ، لكنه فُتِن بما قيل وانساقَ خلف مَنْ روَّجوا لهذه الإشاعة ، وكان من هؤلاء مسطح بن

أثاثة ابن خالة أبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر ينفق عليه ويرعاه لفقره ، فلما قال في عائشة ما قال وخاض في حقها اقسم أبو بكر ألاّ ينفق عليه ، وقد كان يعيش وأهله في سَعَة أبي بكر وفضله؛ لأن هذه الفتنة جعلتْ بعض أهل الخير يضِنُّ به . وهذا نموذج لمن ينكر الجميل ولا يُقدِّر صنائع المعروف ، وهذا الفعل يُزهِّد الناس في الخير ، ويصرفهم عن عمل المعروف ، والله تعالى يريد أنْ يُصحِّح لنا هذه المسألة ، فهذه نظرة لا تتفق وطبيعة الإيمان؛ لأن الذي يعصي الله فيك لا تكافئه إلا بأنْ تطيع الله فيه .

٥٥-**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)**

والغِلُّ كما نعلم هو الحقد الذي يسكن النفوس ،
والمثل أن علياً كرم الله وجهه وأرضاه دخل موقعه الجمل ، وكان في المعسكر المقابل طلحةُ والزبير رضي الله عنهما؛ وكلاهما مُبشَّر بالجنة ، وكان لكل جانب دليل يُغلّبه .
« ولحظةَ أنْ قامت المعركة جاء وَجْه علي كرَّم الله وجهه في وَجْه الزبير؛ فيقول علي رضي الله عنه : تذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتما تمرَّان عليَّ ، سلَّم النبي وقلْتَ أنت : لا يفارق ابنَ أبي طالب زَهْوُه ، فنظر إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لك : » إنك تقاتل علياً وأنتَ ظالم له « . فرمى الزبير بالسلاح ، وانتهى من الحرب .
ودخل طلحة بن عبيد الله على عليٍّ كرم الله وجهه ؛ فقال عليٌّ رضوان الله عليه : يجعل لي الله ولأبيك في هذه الآية نصيباً » فقال أحد الجالسين : إن الله أعدل من أنْ يجمعَ بينك وبين طلحة في الجنة . فقال عليٌّ : وفيما نزل إذنْ قوله الحق : { **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ** } [الحجر : ٤٧] .
وكلمة « نزعنا » تدل على أن تغلغل العمليات الحِقْدية في النفوس يكون عميقاً ، وأن خَلْعها في اليوم الآخر يكون خَلْعاً من الجذور
وسأل سائل : وماذا لو كانت منزلة أحدهما في الجنة أعلى من منزلة الآخر؟
ونقول :إن فَضل الحق المطلق يرفع منزلة الأَدْنى إلى منزلة الأعلى ، وهما يتزاوران .

٥٦-**« ضاع جملي ، وأخشى أن يكون قد سرقه أحد**

وتحمل الذاكرة العربية حكاية الأعرابي الذي فقد جمله ، فذهب إلى قيم الناحية أي : عمدة المكان وقال له : « ضاع جملي ، وأخشى أن يكون قد سرقه أحد » .
وبينما هو يُحدِّث القيِّم جاء واحد ،
وقال له : أجملك أعور؟ أجاب صاحب الجمل : نعم ،

وقال له : أجملك أبتَر؟ أي : لا ذَيْل له ، أجاب صاحب الجمل : نعم . فسأل الرجل سؤالا ثالثاً : أجملك أشول؟ أي :يعرج قليلاً عندما يسير؛ فأجاب الرجل : نعم ، والله هو جَمَلِي .
وأراد قيِّم الحي أن يعلم كيف عرف الرجل الذي حضر كل هذه العلامات التي في الجمل ، فسأله : وما أدراك بكل تلك العلامات؟
قال الرجل : لقد رأيتُه في الطريق ، **وعرفتُ أنه أعورُ** ، ذلك أنه كان يأكل العُشبْ الجاف من جهة ، ولا يلتفت إلى العُشب الأخضر في الجهة الأخرى ، ولو كان يرى بعينيه الاثنتين لرأى العُشب الأخضر .
وعرفت أنه أبتر مقطوع الذيل نتيجة أن بَعْره لم يتبعثر مثل غيره من الجمال التي لها ذَيْل غير مقطوع .
وعرفت أنه أشول؛ لأن أثر ساقه اليمنى أكثر عُمْقاً في الأرض من أثر ساقه اليسرى .
وهكذا شرحت الذاكرة العربية معنى كلمة « المتوسم » .

٥٧-: **<u>اللهم اصْرِف عن صاحب الشِّراكِ المطر؛ وأفِضْ بالمطر على صاحب الحَرْث</u>** .
والمثل الآخر الذي أضربه ما رواه لنا أمير بلدة اسمها « الشريعة » وهي تقع بين الطائف ومكة؛ وقد حدثنا أمير الشريعة عام ١٩٥٣ عن امرأة صالحة تحفظ القرآن؛ اسمها « آمنة » .

هذه المرأة كان لها بنتان؛ تزوَّجتا؛ وأخذ كُلُّ زَوْجٍ زوجته إلى مَحَلِّ إقامته؛ وكان أحدُ زَوْجَي البنتين يعمل في الزراعة؛ والآخر يعمل بصناعة « الشُّرُك » . وقالت آمنة لزوجها : ألاَ تذهب لمعرفة أحوال البنتين؟ فذهب الرجل لمعرفة أحوال البنتين ، فكان أول مَنْ لقي في رحلته هي ابنته المتزوجة مِمَّنْ يحرث ويبذر ، فقال لها : كيف حالك وحال زوجك وحال الدنيا معك أنت وزوجك؟
قالت :يا أَبتِ ، أنا معه على خير ، وهو معي على خير ، وأما حال الدنيا؛ فَادْعُ لنا الله أنْ يُنزل المطر؛ لأننا حرثنا الأرض وبذرْنَا البذور؛ وفي انتظار رَيِّ السماء فرفع الأب يديه إلى السماء وقال : اللهم إنِّي أسألك الغَيْث لها .
وذهب إلى الأخرى؛ وقال لها : ما حالك؟ وما حال زوجك؟ فقالت : خير ، وأرجوك يا أبي أن تدعوَ لنا الله أنْ يمنع المطر؛ لأننا قد صنعنا الشِّرَاك من الطين؛ ولو أمطرتْ لَفسدتِ الشُّرُك ، فَدَعا لها .
وعاد إلى امرأته التي سألته عن حال البنتين؛ فبدا عليه الضيق وقال : هي سَنة سيئة على واحدة منهما ، وروى لها حال البنتين؛ وأضاف : ستكون سنة مُرْهِقة لواحدة منهما .
فقالت له آمنة :لو صبرت؛ لَقُلْتُ لك : إن ما تقوله قد لا يتحقق؛ وسبحانه قادر على ذلك .

قال لها : ونعم بالله ، قولي لي كيف؟ فقال آمنة : **ألم تقرأ قول الله : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الودق يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السمآء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ . . .}** [النور : ٤٣]

فسجد الرجل لله شكراً أن رزقه بزوج تُعينه على أمر دينه ، ودعا : اللهم اصْرِف عن صاحب الشّراكِ المطر؛ وأفِضْ بالمطر على صاحب الحَرْث . وقد كان .

٥٨- « . <u>ولما تولَّى عليٌّ كرم الله وجهه بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم</u> أجمعين ، وقامت المعركة بين علي ومعاوية؛ ثم اتفق الطرفان على عَقْد معاهدة؛ وكتب الكاتب : هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال عمرو بن العاص مندوب معاوية : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس أميرنا .

وهنا تذكَّر علي كرم الله وجهه ما قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَتُسَام مثلها فتقبَّل »وقَبِلها فقال : » امْحُ أمير المؤمنين ، واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب .

<u>٥٩-اسكُتْ يا هذا ، فلستَ في العِير ولا في النَّفِير .</u>

وهذا مَثَلٌ نقوله حالياً ، وقد جاء إلينا عُبْر قريش؛ حيث كانت السلطةُ فيها ذات مَصْدرين

؛ **مصدر العِير**؛ أي : التجارة التي تأتي من القوافل عَبْر الشام وقائدها أبو سفيان؛ **والنَّفِير** ؛ وهم القوْم الذين نَفَرُوا لِنجْدةِ أبي سفيان في موقعة بدر؛ وكان يقودهم عتبة

<u>٦٠-وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ</u> (٣٢)

ويقال « هَزَأَ بفلان » أي : سخر منه ، أما « اسْتُهزئ بفلان » أي : طُلِب من الغير أنْ يهزأ بشخص معين ، وهذا عليه إثمه وإثم مَنْ أوعز له بالسخرية من هذا الشخص .

وقول الحق سبحانه : {**وَلَقَدِ استهزىء بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ . . .**} [الرعد : ٣٢]

أي لستَ بِدعاً يا محمد في أن يقف بعض الكافرين منك هذا الموقف . والمَثَلُ هو الحَكَم بين أبي العاص أبو مروان الذي كان يُقلِّد مشية النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكان رسول الله يمشي كأنمايتحدَّر من صبب؛ وكان بصره دائماً في الأرض .

« ولم يكن الناس مُعْتادين على تلك المِشْية الخاشعة؛ فقد كانوا يسيرون بغرور مستعرضين مناكبهم .

وحين قَلَّد الحَكَمُ رسول الله رآه صلى الله عليه وسلم بنور البصيرة ، فقال له صلى الله عليه وسلم : » كُنْ على هذا « ، فصارت مِشْيته عاهة ، بينما كانت مِشْية رسول الله تطامناً إلى ربه ، وتواضعاً منه صلى الله عليه وسلم .
ونفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحَكَم إلى الطائف؛ وراح يَرْعى الغنم هناك ، ولم يَعْفُ النبي صلى الله عليه وسلم عنه؛ وكذلك أبو بكر في خلافته؛ ولا عمر بن الخطاب؛ ولكن الذي عفا عنه هو عثمان بن عفان ، وكان قريباً له .
وشهد عثمان بن عفان وقال : (والله لقد استأذنتُ رسول الله فيه فقال لي : إن استطعت أن تعفوَ عنه فَاعْفُ ، وحين وَلِيتُ أمرَ المسلمين عَفَوْتُ عنه) .

٦١- إنْ كان الأجر على الله فهو غالٍ .

وسبق إنْ حكيْنَا لكم قصة الرجل الذي قابلناه في الجزائر ، وكان رجلاً تبدو عليه علامات الصلاح ، وقد أشار لنا لنقف بسيارتنا ونحمله معنا ، فلما توقفنا ليركب معنا مالَ إلى السائق ، وقال (على كم) يعني : الأجرة فقال له الرجل ، وكان المحافظ : نُوصلك لله ، فقال (غَلَّتِها يا شيخ) . نعم ، إنْ كان الأجر على الله فهو غَالٍ .

٦٢-« إنَّ لكل حقّ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك » .

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم يسأل أحد صحابته : « كيف أصبحتَ يا حارثة » فيقول :أصبحتُ مؤمناً حقاً ، فقال : « إنَّ لكل حقّ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك » . قال : عزفتْ نفسي عن الدنيا ، حتى استوى عندي ذهبها ومدرها ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يُنعَّمون ، وإلى أهل النار في النار يُعذَّبون « .
فالمسألة إذن في نظرهم لم تكُنْ غيباً ، إنما مشاهدة ، كأنهم يرونها من شدة يقينهم بها؛ لذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم : عرفتَ فالزم .
والإمام علي كرَّم الله وجهه يقول : لو كُشِف عني الحجاب ما ازددتُ يقيناً . لماذا؟ لأنه بلغ من اليقين في الغيب إلى حَدِّ العلم والمشاهدة .

٦٣- وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

هذه صفة أخرى من صفات المؤمنين {**وَإِذَا سَمِعُواْ اللغو أَعْرَضُواْ عَنْهُ** . . . }
واللغو : هو الكلام الذي لا فائدة منه ، فلا ينفعك إنْ سمعتَه ، ولا يضرك عدم سماعه ، وينبغي على العاقل أنْ يتركه ، فهو حقيق أنْ يُترك وأنْ يُلْغى .
ولذلك كان من صفات عباد الرحمن : {**وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً**} [الفرقان : ٧٢] أي : لا يلتفتون إليه .
وسبب نزول هذه الآية : لما استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسُل النجاشي وكانوا جماعة من القساوسة ، فلما جلسوا أسمعهم سورة (يس) ، فتأثروا لها حتى

بكَوْا جميعاً ، ثم آمنوا برسول الله ، ولما انصرفوا تعرَّض لهم أبو جهل ونهرهم وقال : خيَّبكم الله من رَكْب - وهم الجماعة يأتون في مهمة - أرسلكم من خلفي - يعني : النجاشي - لتعلموا له أخبار الرجل ، فسمعتموه فبكيتُم وأسلمتُم ، والله ما رأينا رَكْباً أحمق منكم ، فما كان منهم إلا أنْ أعرضوا عنه .

هذا معنى قول الحق سبحانه {وَإِذَا سَمِعُواْ اللغو أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ . . . . } [القصص : ٥٥] .

وهؤلاء مرُّوا باللغو مرورَ الكرام ، وأعرضوا عنه ، فلم يلتفتوا إليه ، وزادوا على ذلك أنهم لم يسكتوا على اللغو إنما قالوا :{ **لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجاهلين** } لنا أعمالنا الخيِّرة التي يجب أنْ نُقبل عليها ، ولكم أعمالكم الباطلة التي ينبغي أنْ نُترك ، فكلٌّ مِنّا له شَأْن يشغله .

٦٤- الزهد

والإمام علي كرم الله وجهه حينما نُفِي أبو ذر؛ لأنه كان يتكلم عن المال وخطره والأبنية ومسائل الدنيا ، فَنَفَوْه إلى الربذة حتى لا يثير فتنة ، لكنه قبل أن يذهب مرَّ بالإمام علي كي يتوسطله ليعفوا عنه ، لكن الإمام علياً رضي الله عنه أراد ألاَّ يتدخل في هذه المسألة حتى لا يقال :إن علياً سلَّط أبا ذر على معارضة أهل الدنيا ومهاجمتهم ، **فقال له : يا أبا ذر إنك قد غضبتَ لله فارْجُ مَنْ غضبتَ له ، فإن القوم خافوك على دُنْياهم ومُلكهم ، وخِفْتهم أنت على دينك فاهرب بما خِفْتَهم عليه يعني : اهرب بدينك واترك ما خافوك عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، وما أغناك عَمَّا منعوك .**

ولذلك يبعث خيلفة المسلمين إلى سيدنا جعفر الصادق : يا ابن بنت محمد صلى الله عليه وسلم ما لك لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ أي : تأتينا وتجالسنا وتسمر معنا ، **فقال : ليس عندي من الدنيا ما أخافك عليه يعني : ليس عندي مال تصادره وليس عندك من الآخرة ما أرجوك له** . وهذا نفس المنطق الذي تكلم به الإمام علي .

ومن ذلك ما قاله معاوية بن أبي سفيان للأحنف بن قيس : يا أحنف لماذا لا تسبّ علياً على المنبر كما يسبّه الناس؟ فقال الأحنف : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : عزمتُ عليك إلاّ فعلْتَ ، فقال : أما وقد عزمت عليَّ فسأصعد المنبر ، ولكني سأقول للناس : إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أنْ ألعنَ علياً ، فقولوا معي : لعنه الله . عندها قال معاوية : لا يا أحنفُ ، لا تقل شيئاً .

لماذا؟ لأن اللعن في هذه الحالة سيعود على مَنْ؟ على معاوية أو عَلَى عَلِيّ؟

٦٥- واحداً من العارفين بالله قد استأجر مطيَّة

ونجد واحداً من العارفين بالله قد استأجر مطيَّة من خان ليذهب بها من مكان إلى مكان آخر ، فلما ركب المطية وقع منه السوط الذي يحركها به ، فأوقف الدابة مكانها وعاد ماشياً على قدميه إلى موقع سقوط السوط ليأخذه ، ثم رجع ماشياً إلى مكان الدابة ليركبها ، فقال له واحد من الناس : لماذا لم ترجع بالدابة إلى موقع السوط لتأخذه وتعود؛ فأجاب العارف بالله : لقد استأجرتها لأصِلَ بها إلى مكان في اتجاه معين ، ولم يتضمن اتفاقي مع صاحبها أن أبحث بها عن السوط .

٦٦- غار حراء وغار ثور

والشاعر المسلم تأمل غار حراء وغار ثور وكلامها من الأحجار فوجد أن غار حراء قد شهد نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغار ثور حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اختفى فيه ومعه الصديق أبو بكر في أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة ، فتخيل الشاعر أن غار ثور

فغار حراء شهد جبريل عليه السلام وهو يهبط بالنور على محمد صلى الله عليه وسلم ، لكن غار ثور نال أيضاً الشرف لحمايته الرسول في الهجرة .

٦٧- **اتخاذ الليل كستار**

والتاريخ يحمل لنا الكثير من الحكايات عن اتخاذ الليل كستار للمواقف؛ والمثل في سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه؛ حين جاءت موقعة كربلاء ، ورأى العدو وقد أحاط به؛ ورأى الناس وقد انفضوا عنه بعد أن دَعَوْه ليبايعوه ، ولم يَبْقَ معه إلا قلة؛ وعَزَّتْ عليه نفسه؛ وعَزَّ عليه أن يقتل هؤلاء في معركة غير متكافئة صمم هو على دخولها .

فلما أقبل الليل دعا أصحابه وقال لهم :

«إن كنتم قد استحييتم أن تفروا عني نهاراً ، فالليل جاء وقد ستركم ، فمَنْ شاء فليذهب واتركوني » .

٦٨- **القميص**

ولهذا أخذ العلماء والأدباء كلمة القميص كرمز لبعض الأشياء؛ والمثل هو قول الناس عن الحرب بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه أن معاوية أمسك بقميص عثمان بن عفان طلباً للثأر من علي ، فقيل « قميص عثمان »رمزاً لإخفاء الهدف عن العيون ، وكان هدف معاوية أن يحكم بدلاً من علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

٦٩- **الهجاء**

وها هو ذا أبو دلامة الشاعر وقد جلس في مجلس الخليفة ، وكان أبو دلامة مشهوراً بقدرة كبيرة على الهجاء . وأراد الخليفة أن يداعبه فقال له : عزمتُ عليك إلا هجوتَ واحداً منا .
ودارت عيون في المجلس ، وأشار له كل مَنْ حضر المجلس خُفيةً بأنه سيُجزل له العطاء إن ابتعد أبو دلامة عن هجائه؛ ولأن أبا دلامة معروفٌ بالطمع ، وخشي أن يضيع منه أيُّ شيء من العطايا؛ لذلك قام بهجاء نفسه؛ وقال :
ألا أبلِغْ لدَيْك أباَ دلامة ... فليسَ منَ الكِرامِ ولاَ كرامه
إذَا لَبِسَ العِمَامَةَ كان قِرداً ... وخِنْزِيراً إذا خلَعَ العِمَامه
وهكذا خرج من قسم الأمير؛ وكسب العطايا التي وعده بها من حضروا المجلس .

٧٠- **ماذا بقي لك من حظ الدنيا؟**

. وقلنا ذات مرة : إن معاوية وعمرو بن العاص اجتمعا في أواخر حياتهما ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : يا أمير المؤمنين ماذا بقي لك من حظ الدنيا؟ وكان معاوية قد صار أميرا للمؤمنين ورئيس دولة قوية غنية ، فقال معاوية : أما الطعام فقد مللت أطيبه ، وأما اللباس فقد سئمت ألينه ، وحظي الآن في شربة ماء بارد في ظل شجرة في يوم صائف .
وصمت معاوية قليلا وسأل عمرا : وأنت يا عمرو ماذا بقي لك من متع الدنيا؟ .
وكان سيدنا عمرو بن العاص صاحب عبقرية تجارية فقال : أنا حظي عين خرارة في أرض خوارة تدر عليّ حياتي ولولدي بعد مماتي .
إنه يطلب عين ماء مستمر في أرض فيها أنعام وزروع تعطي الخير .
وكان هناك خادم يخدمهما ، يقدم لهما المشروبات ، فنظر معاوية إلى الخادم وأحب أن يداعبه ليشركه معهما في الحديث .
فقال للخادم : وأنت يا « وردان » ماذا بقي لك من متاع الدنيا؟ أجاب الخادم : بقي لي من متع الدنيا يا أمير المؤمنين صنيعة معروف أضعها في أعناق قوم كرام لا يؤدونها إليّ طول حياتي حتى تكون لعقبي في عقبهم . لقد فهم الخادم عن الله قوله : { وَلْيَخْشَ الذين لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } [النساء : ٩] فالذين يتقون الله في الذرية الضعيفة يضمنون أن الله سيرزقهم بمن يتقي الله في ذريتهم الضعيفة .

٧١- **أخطأ عمر وأصابت امرأة**

إذن فهذا القنطار عمره ينتهي في اللحظة الأولى ، لحظة تَمكنك منها . { وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } وهذه هي المسألة التي قال فيها سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : أخطأ عمر وأصابت امرأة ، لأنه كان يتكلم في غلاء المهور؛ فقالت له المرأة : كيف تقول ذلك والله يقول : {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

عن عمر رضي الله عنه أنه نهى وهو على المنبر عن زيادة صداق المرأة على أربعمائة درهم ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : أما سمعت الله يقول : {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } ؟ فقال : اللهم عفوا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر فقال : « إني كنت قد نهيتكم أن تزيدوا في صدُقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب »
وعن عبد الله بن مصعب أن عمر - رضي الله عنه - قال : « لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية من فضة ، فمن زاد أوقية جعلتُ الزيادة في بيت المال ، فقالت امرأة :ما ذاك لك ، قال ولِمَ؟ فقالت : لأن الله تعالى يقول : {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } فقال عمر : (امرأة أصابت ورجل أخطأ) .

٧٢- البخيل

والشاعر يصور بخيلاً اسمه « عيسى »ويريد أن يذمه؛ لأنه بخيل جداً ، ويظهر صورة البخل بأنه ليس على الناس فقط بل على نفسه أيضاً ، فيما لا يضر بذله ولا ينفعه منعه ,وما دام يقتر على نفسه فسيكون تقتيره على غيره أمراً متوقعاً :

يقتر عيسى على نفسه ... وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره ... تنفس من منخر واحد

إنه بخيل لدرجة أنه يفكر لو استطاع أن يتنفس من فتحة أنف واحدة لفعل؛ حتى لا يتنفس بفتحتي أنفه .

والشاعر الآخر يأتي بصورة أيضاً توضح كيف يمنع البخيل نفسه من الأريحية والإنسانية فيقول :

لو أن بيتك يا بن عم محمد ... إبر يضيق بها فضاء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قد قيمصه لم تفعل

فالشاعر يصور أن سيدنا يوسف لو جاء إلى هذا البخيل وقال له : أعطني أبرة لكي أخيط قد القميص الذي مزقته زليخاء ، وهذا البخيل عنده بيت يمتلئ فِناؤه بالإبر ، لضن البخيل ورفض .

إذن فالبخيل : هو من يضيق بالإعطاء ، حتى أنه يضيق بإعطاء شيء لا يضر أن يبذله ولا ينفعه أن يمنعه

٧٣- ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

هناك قضية تعرض لها الكتاب وهي قضية قد تشغل كثيراً من الناس الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان مجلسه صلى الله عليه وسلم لا يُصد عنه قادم ، يأتي فيجلس حيث ينتهي به المجلس ، فالذي يريد النبي دائما يستمر في جلوسه ، والذي يريد أن يراه كل فترة يأتي كلما أراد ذلك فثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قليل الصبر عنه ، فأتاه يوما ووجهه متغير وقد نحل وهزل جسمه ، وعُرف

الحزن في وجهه ، فسأله النبي قائلا : ما بك يا ثوبان؟ فقال والله ما بي مرض ولا علة ، ولكني أحبك وأشتاق إليك ، وقد علمت أني في الدنيا أراك وقتما أريد ، لكنك في الآخرة ستذهب أنت في عليين مع النبيين ، وإن دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك ، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا .
ونص الحديث كما رواه ابن جرير - بسنده - عن سعيد بن جبير قال : « جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو محزون - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : »يا فلان مالي أراك محزوناً «؟ فقال : يا نبي الله شيء فكرت فيه فقال : » ما هو «؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك ، وغدا تُرفع مع النبيين فلا نصل إليك ، فلم يرد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم -شيئاً فأتاه جبريل بهذه الآية : » ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين « . . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليه فبشره . وكيف يأتي هذه على البال؟! إنه إنسان مشغول بمحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وفكر : هل ستدوم له هذه النعمة؟ وتفكر في الجنة ومنازلها وكيف أن منزلة الرسول ستعلو كل المنازل .

الحجر

ألسنا نُؤمر في الحج بأن نُقبِّل حجراً ونرمي آخر ، وكل منهما إيمان وطاعة ، هذا يُباس وهذا يُداس ، هذا يُقبَّل وهذا يقنبل ، لماذا؟ لأن الله تعالى يريد منا الالتزام بأمره ، وانصياع النفس المؤمنة للرب الذي أحيا ، والرب الذي كلفَّ .

أتم الله عليك نعمته

والتاريخ يحمل لنا قصة المرأة العربية التي دخلت على الخليفة وقالت له : أتم الله عليك نعمته . وسمعها الجالسون حول الخليفة ففرحوا ، وأعلنوا سرورهم ، لكن الخليفة قال لهم : والله ما فهمتم ما تقول ، إنها تقول : أتم الله عليك نعمته ، فإنها إن تمت تزول؛ لأن الأغيار تلاحق الخلق . وهكذا فهم الخليفة مقصد المرأة .

قل مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ (٩٧) البقرة

١- الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولقد جلس ابن جوريا أحد أحبار اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من الذي ينزل عليك بالوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل . . فقال اليهودي لو كان غيره لآمنا بك . . جبريل عدونا لأنه ينزل دائما بالخسف والعذاب . . ولكن ميكائيل ينزل بالرحمة والغيث والخصب . .
٢- وأيضا هو عدوهم لأنهم اعتقدوا أن بيت المقدس سيخربه رجل اسمه بختنصر ، فأرسل اليهود إليه من يقتله . . فلقى اليهودي غلاما صغيرا وسأله الغلام ماذا تريد؟ قال إني أريد أن أقتل بختنصر لأنه عندنا في التوراة هو الذي سيخرب بيت

المقدس . . فقال الغلام إن يكن مقدرا أن يخرب هذا الرجل بيت المقدس فلن تقدر عليه . . لأن المقدر نافذ سواء رضينا أم لم نرضى . . وإن لم يكن مقدرا فلماذا تقتله إن كان هذا غير صحيح فلماذا تقتل نفسا بغير ذنب . . فعاد اليهودي دون أن يقتل بختنصر وعندما رجع إلى قومه قالوا له إن جبريل هو الذي تمثل لك في صورة طفل وأقنعك ألا تقتل هذا الرجل .
٣- يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب كان له أرض في أعلى المدينة . . وكان حين يذهب إليها يمر على مدارس اليهود ويجلس إليهم . . وظن اليهود أن مجلس عمر معهم إنما يعبر عن حبه لهم . . فقالوا له إننا نحبك ونحترمك ونطمع فيك . . ففهم عمر مرادهم فقال والله ما جالستكم حبا فيكم . . ولكني أحببت أن أزداد تصورا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلم عنه ما في كتابكم . . فقالوا له ومن يخبر محمدا بأخبارنا وأسرارنا؟ فقال عمر إنه جبريل ينزل عليه من السماء بأخباركم . . قالوا هو عدونا . . فقال عمر كيف منزلته من الله؟ قالوا إنه يجلس عن يمين الله وميكائيل يجلس على يسار الله . . فقال عمر مادام الأمر كما قلتم فليس أحدهما عدواً للآخر لأنهما عند الله في منزلة واحدة .
بالاسم .

وقوله : {لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا} البقرة

. نهى . . وكأن راعنا كانت مقولة عندهم يريد الله أن ينهاهم عنها . . والإيمان يلزمهم أن يستمعوا إلى نهي الله .
ما معنى راعنا؟ نحن نقول في لغتنا الدارجة (راعينا) . . يعني احفظنا وراقبنا وخذ بيدنا وكلها مأخوذة من مادة الرعاية والراعي . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »
وأصل المادة مأخوذة من راعي الغنم . .
١-أن راعي الغنم لابد أن يتجه بها إلى الأماكن التي فيها العشب والماء . . أي إلى أماكن الرعي . .
٢-أن يكون حارسا عليها حتى لا تشرد واحد أو تضل فتفتك بها ذئاب الصحاري .
.
٣- وأن يوفر لها الراحة حتى لا تتعب وتنفق في الطريق . .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كنتُ أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة »
ولكن لماذا استبدل الحق سبحانه وتعالى كلمة راعنا بكلمة انظرنا؟ إن عند اليهود في العبرانية والسريانية كلمة راعنا ومعناها الرعونة . . ولذلك كانوا إذا سمعوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة راعنا . . اتخذوها وسيلة للسباب

بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . والمسلمون لا يدرون شيئا . . لذلك أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتركوا هذه الكلمة . . حتى لا يجد اليهود وسيلة لستر سبابهم ، وأمرهم بأن يقولوا : انظرنا .

« **واسمعوا** » . . والله هنا يشير إلى الفرق بين اليهود والمؤمنين . . فاليهود قالوا سمعنا وعصينا ، ولكن الله يقول للمؤمنين إسمعوا سماع طاعة وسماع تنفيذ .

سعد بن معاذ سمع واحدا من اليهود يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا وسعد كان من أحبار اليهود ويعرف لغتهم فلما سمع ما قاله فهم مراده . فذهب إلى اليهودي وقال له لو سمعتها منك مرة أخرى لضربت عنقك . . وقال اليهودي أو لستم تقولونها لنبيكم؟ أهي حرام علينا وحلال لكم؟ فنزلت الآية الكريمة تقول : { لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظرنا } . . ولو تأملنا كلمة (راعنا) وكلمة (انظرنا) لوجدنا المعنى واحدا . . ولكن (انظرنا) تؤدي المعنى وليس لها نظير في لغة اليهود التي تعني الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

د عبد النعيم مخيمر

<u>قصص من اقوال ابن القيم</u>

<u>فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام على لذة الوصال الحرام</u>

هذا باب إنما يدخل منه رجلان:
أحدهما من تمكن من قلبه الإيمان بالآخرة وما أعد الله فيها من الثواب والعقاب لمن عصاه فآثر أدنى الفوتين واختار أسهل العقوبتين
والثاني رجل غلب عقله على هواه فعلم ما في الفاحشة من المفاسد وما في العدول عنها من المصالح فآثر الأعلى على الأدنى

<u>يوسف</u>

وقد جمع الله سبحانه وتعالى ليوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه بين الأمرين فاختار عقوبة الدنيا بالسجن على ارتكاب الحرام فقالت المرأة ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاختار السجن على الفاحشة ثم تبرأ إلى الله من حوله وقوته وأخبر أن ذلك ليس إلا بمعونة الله له وتوفيقه وتأييده لا من نفسه فقال وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين

فلا يركن العبد إلى نفسه وصبره وحاله وعفته ومتى ركن إلى ذلك تخلت عنه عصمة الله وأحاط به الخذلان

وقد قال الله تعالى لأكرم الخلق عليه وأحبهم إليه ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ولهذا كان من دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وكانت أكثر يمينه لا ومقلب القلوب كيف وهو الذي أنزل عليه واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن من آثر الألم العاجل على الوصال الحرام أعقبه ذلك في الدنيا المسرة التامة وإن هلك فالفوز العظم والله تعالى لا يضيع ما تحمل عبده لأجله

وفي بعض الآثار الإلهية يقول الله سبحانه وتعالى بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي وكل من خرج عن شيء منه لله حفظه الله عليه أو أعاضه الله ما هو أجل منه ولهذا لما خرج الشهداء عن نفوسهم لله جعلهم الله أحياء عنده يرزقون وعوضهم عن أبدانهم التي بذلوها له أبدان طير خضر جعل أرواحهم فيها تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ولما تركوا مساكنهم له عوضهم مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم

وقال وهب بن منبه كان عابد من عباد بني إسرائيل يتعبد في صومعة فجاء رجل من بني إسرائيل إلى امرأة بغي فبذل لها مالا وقال لعلك أن تفتنيه فجاءته في ليلة مطيرة فنادته فأشرف عليها فقالت آوني إليك فتركها وأقبل على صلاته فقالت يا عبد الله آوني إليك أما ترى الظلمة والمطر فلم تزل به حتى آواها فاضطجعت قريبا منه فجعلت تريه محاسنها حتى دعته نفسه إليها فقال لا والله حتى أنظر كيف صبرك على النار فتقدم إلى المصباح فوضع إصبعا من أصابعه حتى احترقت ثم عاد إلى صلاته فدعته نفسه إليها فعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت فلم يزل تدعوه نفسه وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعا وهي تنظر فصعقت وماتت

فلما أصبحوا غدوا لينظروا ما صنعت فإذا بها ميتة فقالوا يا عدو الله يا مرائي وقعت عليها ثم قتلتها قال فذهبوا به إلى ملكهم فشهدوا عليه فأمر بقتله فقال دعوني حتىأصلي ركعتين قال فصلى ثم دعا فقال أي رب إني أعلم أنك لم تكن

لتؤاخذني بما لم أفعل ولكن اسألك أن لا أكون عارا على القرى بعدي قال فرد الله نفسها فقالت أنظروا إلى يده ثم عادت ميتة

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن إبراهيم قال بينما رجل عابد عند امرأة إذ عمد فضرب بيده على فخذها فأخذ يده فوضعها في النار حتى نشت

وقال حصين بن عبدالرحمن بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر يتفقده إذا غاب فعشقته امرأة من أهل المدينة فذكرت ذلك لبعض نسائها فقالت أنا أحتال لك في إدخاله عليك فقعدت له في الطريق فلما مر بها قالت له إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها فلو دخلت فحلبتها لي وكانوا أرغب شيء في الخير فدخل فلم ير شاة فقالت اجلس حتى آتيك بها فإذا المرأة قد طلعت عليه فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه فأرادته عن نفسه فأبى وقال اتقي الله أيتها المرأة فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله فلما أبى عليها صاحت عليه فجاءوا فقالت إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه فلما صلى عمر الغداة فقده فبينا هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق فلما رآه عمر قال اللهم لا تخلف ظني به قال مالكم قالوا استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه فقال عمر رضي الله عنه اصدقني فأخبره بالقصة على وجهها فقال له عمر رضي الله عنه أتعرف العجوز فقال نعم إن رايتها عرفتها فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن فعرضهن فلم يعرفها فيهن حتى مرت به العجوز فقال هذه يا أمير المؤمنين فرفع عمر عليها الدرة وقال أصدقيني فقصت عليه القصة كما قصها الفتى فقال عمر الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف

وقال أبو الزناد كان راهب يتعبد في صومعته فأشرف منها فرأى امرأة ففتن بها فأخرج رجله من الصومعة لينزل إليها فنزلت عليه العصمة فقال رجل خرجت من الصومعة لتعصي الله والله لا تعود معي في صومعتي فتركها معلقة خارج الصومعة يسقط عليها الثلوج والأمطار حتى تناثرت وسقطت فشكر الله ذلك من صنعه ومدحه في بعض كتبه بذي الرجل

وقال مصعب بن عثمان كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة بيته فسألته نفسه فامتنع عليها فقالت إذن أفضحك فخرج هاربا عن منزله وتركها فيه

<u>وقال جابر بن نوح</u> كنت بالمدينة جالسا عند رجل في حاجة فمر بنا شيخ حسن الوجه حسن الثياب فقام إليه ذلك الرجل فسلم عليه وقال يا أبا محمد أسأل الله أن يعظم أجرك وأن يربط على قلبك

فقال له الرجل أبشر فإن الصبر معول المؤمن وإني لأرجو أن لا يحرمك الله الأجر على مصيبتك فقلت له من هذا الشيخ فقال رجل منا من الأنصار فقلت وما قصته قال أصيب بابنه وكان به بارا قد كفاه جميع ما يعنيه ومنيته عجب قلت وما كانت قال أحبته امرأة فأرسلت إليه تشكو حبه وتسأله الزياره وكان لها زوج فألحت عليه فأفشى ذلك إلى صديق له فقال له لو بعثت إليها بعض أهلك فوعظتها وزجرتها رجوت أن تكف عنك فأمسك وأرسلت إليه إما أن تزورني وإما أن أزورك فأبى فلما يئست منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر فجعلت لها الرغائب في تهييجه فعملت لها في ذلك فبينا هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذكرها بقلبه وهاج منه أمر لم يكن يعرفه واختلط فقام مسرعا فصلى واستعاذ والأمر يشتد فقال يا أبه أدركني بقيد فقال يا بني ما قصتك فحدثه بالقصة فقام وقيده وأدخله بيتا فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور ثم هدأ فإذا هو ميت والدم يسيل من منخره

وهذا ليس بعجيب من الرجال ولكنه من النساء أعجب

<u>قال أبو إدريس الأودي</u> كان رجلان في بني إسرائيل عابدان وكانت جارية جميلة فأحباها وكتم كل منهما صاحبه واختبأ كل منهما خلف شجرة ينظر إليها فبصر كل منهما سره إلى صاحبه فاتفقا على أن يراوداها فلما قربت منهما قالا لها قد عرفت منزلتنا في بني إسرائيل وإنك إن لم تؤاتينا وإلا قلنا إذا أصبحنا إنا أصبنا معك رجلا وإنه أفلتنا وإنا أخذناك فقالت ما كنت لأطيعكما في معصية الله فأخذاها وقالا إنا أصبنا معها رجلا فأفلتنا وأقبل نبي من أنبيائهم فوضعوا له كرسيا فجلس عليه وقال أقضي بينكم فقالا نعم اقض بيننا ففرق بين الرجلين وقال لأحدهما خلف أي شجرة رأيتها قال شجرة كذا وكذا وقال للآخر فقال شجرة كذا وكذا غير التي ذكر صاحبه ونزلت نار من السماء فأحرقتهما وأفلتت المرأة

<u>وقال عبدالله بن المبارك</u> عشق هارون الرشيد جارية من جواريه فأرادها فقالت إن أباك مسني فشغف بها وقال فيها

أرى ماء وبي عطش شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود
أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس عندي كالعبيد
وأنك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي

فسأل أبا يوسف عن ذلك فقال أو كلما قالت جارية شيئا تصدق قال ابن المبارك فلا أدري ممن أعجب من هارون الرشيد حيث رغب فيها أو منها حيث رغبت عنه أو من أبي يوسف حيث سوغ له إنيانها

وقال أبو عثمان التيمي مر رجل براهبة من أجمل النساء فافتتن بها فتلطف في الصعود إليها فراودها عن نفسها فأبت عليه وقالت لا تغتر بما ترى وليس وراءه شيء فأبى حتى غلبها على نفسها وكان إلى جانبها مجمرة فوضعت يدها فيها حتى احترقت فقال لها بعد أن قضى حاجته منها ما دعاك إلى ما صنعت قالت إنك لما قهرتني على نفسي خفت أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية ففعلت ما رأيت فقال الرجل والله لا أعصي الله أبدا وتاب مما كان عليه

وذكر الحسين بن محمد الدامغاني أن بعض الملوك خرج يتصيد وانفرد عن أصحابه فمر بقرية فرأى امرأة جميلة فراودها عن نفسها فقالت إني غير طاهر فأتطهر وآتيك فدخلت بيتها وخرجت إليه بكتاب فقالت انظر في هذا حتى آتيك فنظر فيه فإذا فيه ما أعد الله للزاني من العقوبة فتركها وذهب فلما جاء زوجها أخبرته الخبر فكره أن يقربها مخافة أن يكون للملك فيها حاجة فاعتزلها فاستعدى عليه أهل الزوجة إلىالملك وقالوا إن لنا أرضا في يد الرجل فلا هو يعمرها ولا هو يردها علينا وقد عطلها فقال الملك ما تقول فقال إني رأيت في هذه الأرض أسدا وأنا أتخوف دخولها منه ففهم الملك القصة فقال اعمر أرضك فإن الأسد لا يدخلها ونعم الأرض أرضك

وكانت بعض النساء المتعبدات وقعت في نفس رجل موسر وكانت جميلة وكانت تخطب فتأبى فبلغ الرجل أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى من أراد الحج فليكتر من فلان فاكترت منه المرأة فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال إما أن تزوجيني نفسك وإما غير ذلك فقالت ويحك اتق الله فقال ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بجمال ولا خرجت إلا من أجلك فلما خافت على نفسها قالت ويحك انظر أبقي في الرجال عين لم تنم فقال لا ناموا كلهم قالت أفنامت عين رب العالمين ثم شهقت شهقة خرت ميتة وخر الرجل مغشيا عليه فلما أفاق قال ويحي قتلت نفسا ولم أبلغ شهوتي

وقال وهب بن منبه كان في بني إسرائيل رجل متعبد شديد الاجتهاد فرأى يوما امرأة فوقعت في نفسه بأول نظرة فقام مسرعا حتى لحقها فقال رويدك يا هذه فوقفت وعرفته فقالت ما حاجتك قال أذات زوج أنت

قالت نعم فما تريد قال لو كان غير هذا لكان لنا رأي قالت على ذلك وما هو قال عرض بقلبي من أمرك عارض قالت وما يمنعك من إنقاذه قال وتتابعيني على ذلك قالت نعم فحلت به في موضع فلما رأته مجدا في الذي سأل قالت رويدك يا مسكين لا يسقط جاهك عنده فانتبه لها وذهب عنه ما كان يجد فقال لا حرمك الله

ثواب فعلك ثم تنحى ناحية فقال لنفسه اختاري إما عمى العين وإما الجب وإما السياحة مع الوحوش فاختارت السياحة مع الوحوش فكان كذلك إلى أن مات

<u>وأحب رجل جارية من العرب وكانت ذات عقل وأدب</u> فما زال يحتال في أمرها حتى اجتمع معها في ليلة مظلمة شديدة السواد فحادثها ساعة ثم دعته نفسه إليها فقال يا هذه قد طال شوقي إليك قالت وأنا كذلك فقال هذا الليل قد ذهب والصبح قد اقترب قالت هكذا تفنى الشهوات وتنقطع اللذات فقال لها لو دنوت مني فقالت هيهات أخاف البعد من الله قال فما الذي دعاك إلى الحضور معي قالت شقوتي وبلائي قال لها فمتى أراك قالت ما أنساك وأما الاجتماع معك فما أراه يكون ثم تولت قال فاستحييت مما سمعت منها وأنشد

توقت عذابا لا يطاق انتقامه ... ولم تأت ما تخشى به أن تعذبا
وقالت مقالا كدت من شدة الحيا ... أهيم على وجهي حيا وتعجبا
ألا أف للحب الذي يورث العمى ... ويورد نارا لا تمل التلهبا
فأقبل عودي فوق بدئي مفكرا ... وقد زال عن قلبي العمى فتسربا

وقديما أعطوا لنا مثلا بالمرأة التي جمعت الصيف والشتاء في ليلة واحدة ، فقد زوجت ابنها وابنتها ، وعاش الأربعة معها في حجرة واحدة ، ابنها معه زوجته ، وابنتها معها زوجها ، والمرأة معهم ، تنام نوما قليلا، وتذهب لابنتها توصيها : « دفئي زوجك وأرضيه » فالجو بارد ، وتذهب لابنها وتقول : « ابعد عن زوجتك فالدنيا حر » .

<u>لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)</u>

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : قدمتْ عليّ أمي وهي راغبة . أفأصل أمّي؟ قال : نعم صلي أمّكِ

١- ولقد أراد بعض من المؤمنين أن يضيقوا على أقاربهم ممن لم يؤمنوا حتى يؤمنوا ، لكن الرحمن الرحيم ينزل القول الكريم : {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولكن الله يَهْدِي مَن يَشَآءُ } .

حديث [لم يتكلم في المهد إلا أربعة :عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون] رواه الطبراني في الكبير

والصحيح ما ورد عند البخاري (٣٤٣٦) من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي

فَ قَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ).

<u>قصة آية</u>

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)) (الأنفال

قصة الاستغفار قصة جميلة في القرآن الكريم ولو أتينا نستعرض الآيات القرآنية التي أمر الله فيها بالاستغفار وذكر فيها فوائد الاستغفار وذكر فيها عاقبة المستغفرين لطال بنا الحديث.

لكن من الآيات المشهورة في في هذا في قوله سبحانه وتعالى في قصة نوح **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) نوح) وفي قوله سبحانه وتعالى (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ (٣) هود)**

فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أمروا قومهم بالاستغفار والتوبة والرجوع والإنابة والله سبحانه وتعالى يحب المستغفرين، يحب أن عبده يستغفره "استغفر الله، أستغفر الله" الله سبحانه وتعالى يحب هذا.

والاستغفار ليس بالضرورة أن يكون عن ذنب فإن الإنسان لتقصيره في حق الله سبحانه وتعالى لا يكاد ينفك عن الذنب لأنه لا يملأ كل لحظة من لحظات حياته بطاعة يتقرب بها إلى الله.

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر في المجلس الواحد ويستغفر في اليوم أكثر من مئة مرة وفي روايات يستغفر سبعين مرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر للمؤمنين والملائكة عليهم السلام يستغفرون لمن في الأرض.

هذه الآية في سورة الأنفال لها قصة، النبي صلى الله عليه وسلم واجه من المشركين شدّة لا يعلمها إلا الله وإهانات ومضايقات، يُراد له بأيّ وسيلة أن

يتوقف عن هذه الدعوة ولكن لم تفلح كل المحاولات في صدّه عليه الصلاة والسلام واستمر،

يقول الله سبحانه وتعالى (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ) يعني المشركين (وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فجعل أمانين لهؤلاء:

وجود النبي صلى الله عليه وسلم صمام أمان لا يمكن أن يأتي عذاب يستأصل الناس والنبي فيهم. ولذلك لم تعذّب أمة من الأمم ورسولها فيها وإنما يؤمر النبي بأن يخرج حتى يقع العذاب "فاخرج أنت وأسرتك أو أنت وأتباعك" ثم يأتيهم العذاب.

ولذلك نوح عليه الصلاة والسلام أمره الله بأن يصنع السفينة وأن يركب فيها ومن معه من المؤمنين وأن يأخذ فيها من كل زوجين اثنين ثم جاءهم العذاب فهلكوا كلهم حتى زوجته وولده.

هود عليه الصلاة والسلام أيضاً جاءتهم الصيحة، خرج، صالح، لوط، كلهم خرجوا فوقع العذاب ولو بقي النبي فيهم ما أصابهم العذاب لأن النبي أَمَنَة لقومه والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك.

قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، انظر هذا المغفل!! بدل أن يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، لكن خذلان والعياذ بالله! حتى يعلم الإنسان أن المسألة ليس فيها ذكاء ولا فيها وجاهة وإنما توفيق وهداية من الله سبحانه وتعالى وإلا أبو جهل بن هشام كان من شيوخ قريش الكبار فدعا بهذه الدعوة فقال الله سبحانه وتعالى (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وهاجر إلى المدينة وجاء أبو جهل ومن معه من المشركين في معركة بدر قضى الله تعالى عليه بتلك المعركة ولذلك من اللطائف الجميلة أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال لرجل من سبأ من اليمن فقال له من أين أنت؟ قال من اليمن، قال أنت من قوم سبأ؟ قال نعم، قال ما أجهل قومك حين ملّكوا عليهم امرأة - يقصد بلقيس رضي الله عنها بلقيس عندما آمنت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، فردّ عليه الرجل اليمني رداً مفحماً فقال له: بل أجهل من قومي قومك قريش عندما قالوا(وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .هلّا قالوا فاهدنا إليه

الشاهد أن هذه الآية لها قصة وهي أن أبا جهل ومن معه كانوا يقولون (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فقال الله لا يمكن أن نفعل بهم ذلك يا محمد وأنت فيهم، حتى وأنت بين هؤلاء المكذبين المشركين أنت أمانٌ لهم فلما أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة وهاجر هزمهم الله في بدر وقتلهم.

إلا أن الله لطف بهم وترك لهم مجالاً حتى يرجعوا إلى الحق ولذلك أسلم كثير منهم، أسلم كثير من كبار قريش وأيضاً أسلم كثير من أبنائهم وعلى سبيل المثال أبو جهل هذا يعتبر فرعون هذه الأمة مناصبة العداء للنبي صلى الله عليه وسلم وتعذيباً لأتباعه ابنه عكرمة رضي الله عنه دخل في الإسلام وأصبح من قوّاد الإسلام الكبار عكرمة بن أبي جهل وهو من قوّاد الإسلام الكبار. خالد بن الوليد رضي الله عنه أبوه الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) المدثر) ولكن ابنه خالد بن الوليد رضي الله عنه هو سيف الله المسلول.

فالله سبحانه وتعالى أخرج من أصلاب هؤلاء المشركين الكافرين صحابة كراماً رضي الله عنهم هم الذين فتحوا بلاد الإسلام. خالد بن الوليد كان له دور بارز في معارك الإسلام في معركة اليمامة وفي حروب الردّة نفع الله به نفعاً عظيماً وانتصر الجيش الإسلامي بوجود خالد وحنكته وخبرته فهو رجل قائد عسكري معروف. في معركة اليرموك كان له دور بارز رضي الله عنه في قيادة الجيوش الاسلامية وهزيمة الروم، في معركة القادسية أيضاً لكن لأن عمر رضي الله عنه رأى رأياً يدل على حكمته ورأى الناس كأنهم بدأوا يغترون بخالد ويقولون ما دام خالد موجوداً لا عليكم، فقال تعالى يا خالد اِرجع وابق في الجيش وتعال يا سعد بن أبي وقاص قُد الجيش فقاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه معركة القادسية وانتصر المسلمون. ولذلك يقولون قال عمر: خشيتُ أن يتعلق الناس بخالد. عمر رضي الله عنه ذكي ومُلهم، خالد بن الوليد نفع الله به مع أن والده هو الوليد بن المغيرة كافر مات على الكفر.

فلذلك هذا يفتح الأمل للدعاة أنك لا تيأس بل إذا رأيت الإنسان رأساً في الشر فترفّق لعل الله سبحانه وتعالى يجعل له رأساً في الخير وقد حدث هذا كثيراً وهناك كثير من الدعاة الآن المشهورين كانوا رؤوساً في الضلال بل وبعضهم رؤوساً في الكفر في النصرانية وفي اليهودية ثم هداه الله للإسلام بدعوة أحد من المسلمين المترفقين الطيبين الذين استطاعوا أن يوصلوا الإسلام له بطريقة أو بأخرى فأصبح هذا الذي كان رأساً في الضلال أصبح من كبار الدعاة وأصبح يتحمس بشكل لا تتصوره.والله قد لقيت رجلاً من كبار الدعاة المعروفين الآن كان رأساً في الكفر وفي النصرانية وفي التثليث وصباح مساء يقول إن الله له ولد والله ثالث ثلاثة ثم هداه الله للإسلام، والله ربما ينام في اليوم ثلاث أربع ساعات

على الأكثر وباقي وقته في الدعوة إلى الله بشكل، سألته كم لك منذ أسلمت؟ يقول سبع سنوات فقط والله إن له من الجهود والتأثير تقول أن له سبعين سنة.

فالداعية البصير الموفق يستثمر مثل هذه الإشارات الموجودة في القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم قدوتنا في التلطّف والترفق بالناس (وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ولذلك نذكر آية في قوله سبحانه وتعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ (١٥٩) آل عمران).

في سورة الجمعة ذكر الله تعالى حال بعض الصحابة عندما قال(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا (١١) الجمعة) كانوا مجتمعين ومتحلقين حول النبي صلى الله عليه وسلم ثم انفضوا كلهم. فالله سبحانه وتعالى يقول لولا أنك يا محمد لطيف مع الصحابة وطيب ومتواضع ولين الجانب تبتسم وتحسن القول لهذا، أحياناً بعض الأعراب يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يدخل في الإسلام فيغلظ القول فيثور الصحابة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم خلّوا بيني وبينه أنا أتفاهم وإياه. وجاء رجل أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم ودخل وبال في المسجد، موقف لا يُحتمل! تخيل الواحد الآن يترك المنطقة كلها ويتبول داخل المسجد، ضاقت عليك الدنيا! فالصحابة رضي الله عنهم قاموا عليه وأرادوا أن يضربوه فقال النبي لا تزرموه، اُتركوه حتى يقضي حاجته، ثم قال له يا أعرابي إن هذه البيوت ليست لهذا وإنما هي للصلاة وذكر الله وقرآءة القرآن وأمرهم أن يأتوا بدلو ماء ويرهقوا عليه وانتهى الأمر بكل بساطة.

هذه المدرسة التي نريد أن نتعلم فيها ونجعلها قدوة ولا ننفّر الناس من الدين ونأخذ الناس بالتي هي أحسن.أولاً هذا هو أمر الله سبحانه وتعالى والأمر الثاني أن هذا هو الذي ينفع أما الشدة والقسوة والعنف ما تنفع خاصة أنك تدعو الناس لأن يعتنقوا شيئاً بقلوبهم والناس لا يعتنقوا شيئاً بقلوبهم بالعصا تضربه تقول له غصباً عنهم ولذلك قال الله سبحانه وتعالى (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين (٢٥٦) البقرة) هذه قاعدة (قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) قد تبين والإنسان يختار ثم يصبر على ما يختار إن اختار الحق يبشر بالخير وإن اختار الباطل فيصبر على ما يترتب عليه.

أيضاً قوله سبحانه وتعالى (وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) هي رسالة لكل من يقرأ القرآن الكريم أن يُكثر من الاستغفار وقتك لا بد أن تعمره بالاستغفار والنبي صلى الله عليه وسلم عظّم من شأن الاستغفار وقال والله إني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة والصحابة كانوا يرون هذا منه وعائشة رضي الله عنها تقول ما أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر وذكرت أنه منذ أن نزل عليه قول الله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) النصر)

والله سبحانه وتعالى يقول ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ (٤٣) الأنعام) الله يحب أن يرى العبد يتضرع ويستغفر ويلجأ ويُكثر من الاستغفار لكي يغفر له

ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي أن رجلاً أذنب فقال استغفر الله، فقال الله سبحانه وتعالى عبدي وعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا اِشهدوا أني قد غفرت له.

ولذلك الشيطان يريد أن يظفر منك يقول لك أنت استغفرت مرة وستستحي من ربي أذنب واستغفر ودّ الشيطان أن يظفر منا بهذا أن يقول الإنسان أنا أذنبت واستغفرت أكثر من مرة فلتستحي ما عدت أستغفر،

لا تترك الاستغفار ولو أذنبت مليون مرة فإن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر.

وفوائد الاستغفار (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) نوح) الكل يطلب الخير والرزق فهو من نتائج الاستغفار وأيضاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً

د عبد النعيم مخيمر